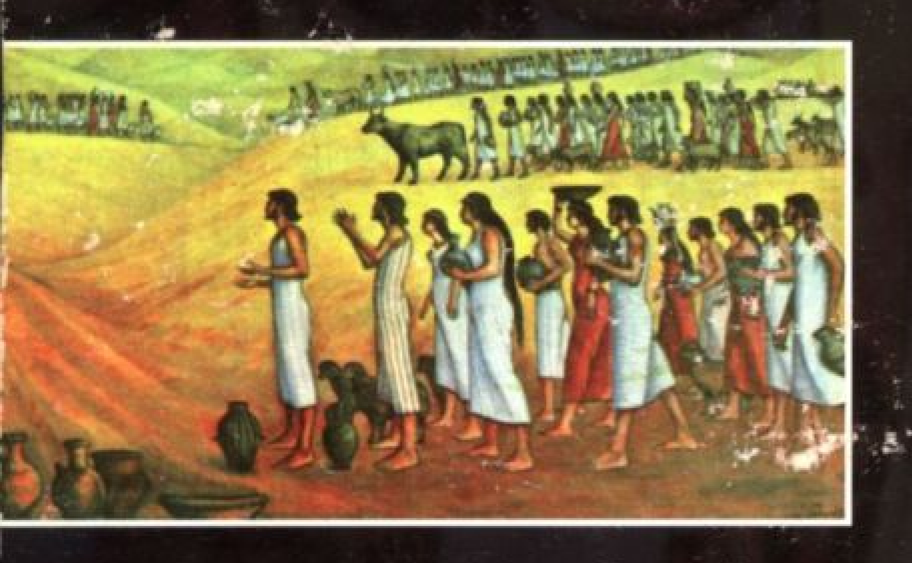
علي حسين خلف

الحضارة الكنعانية والتوراة



مكتبة المهتدين الإسلامية

الحضارة الكنعانية والتوراة

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحضارة الكنعانيّة والتوراة / تاريخ قديم
علي حسين خلف / مؤلّف من فلسطين
الطبعة العربيّة الأولى ، ١٩٩٩
حقوق الطبع محفوظة



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
®
لوحة الغلاف : تقديم القرابين
عبد الرحمن المزيّن / فلسطين
الصفّ الضوئي :
مطبعة الندى ، عمّان

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة : (١٤٥١/١٠/١٩٩٧)
رقم التصنيف : ٩٣٣ .

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author or his representative.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن خطّي مسبق من المؤلّف ، أو من هو في حكمه.

علي حسين خلف

الحضارة الكنعانيّة والتوراة



مكتبة المهتدين الإسلامية

الإهداء

لى شريكتي في رحلة العذاب،

وجتي،

لسيدة عفاف سراج عقيل،

التي كان صبرها،

لعتي الأخيرة ضد الظلام.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هذا الكتاب

المقدمة

تعرّض تاريخ وحضارة الشعب العربي الفلسطيني على أرض وطنه فلسطين إلى افتراءات ظالمة ومقصودة، بهدف طمس الخزّان الحضاري الهائل للكنعانيين، بشتى قبائلهم وعشائرهم، وقطع الصلة بينهم وبين امتدادهم الحالي المتمثل بالشعب الفلسطيني، بشتى أماكن تواجده.

واعتمدت الافتراءات على تزوير النصوص الدينية، ودمج التاريخ المهزوم، زوراً، بثياب بطولات وحروب لا أصل لها، وانتصارات وهمية على مدن هدّمتها الزلازل. وظل أخطرها،تحايلاً على علم الآثار، إرغام حركة الاستكشافات الأثرية على اعتماد مرجعية تاريخية وجغرافية التوراة مسبقاً، كأساس للتنقيب والبحث. وهو ما قاد البعض إلى نتائج مضللة، عندما أعجزتهم الحيلة بوجود أية ظواهر دالة على إبداع عبراني ما في فلسطين، فاستنجدوا، بأسطورة هيكل سليمان كتعويض معنوي عن غياب مادي حقيقي عن كل مفاصل حضارة الفلسطينيين.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والهيكل المقصود، كما تعترف التوراة ومصادر الكتابة الواقعة تحت تأثيرها، هو إلى حد كبير أثر كنعاني، في التسمية، وفي مواد البناء (الأخشاب)، وفي إشادته، وهندسته، وتزيينه، والغياب الوحيد للكنعانيين عنه، أنهم ليسوا هم الذين دخلوا الأروقة الخشبية وأقاموا الصلاة!.

لقد استطاع الفكر الغربي، الواقع تحت دائرة النفوذ الصهيوني والتوراتي، متسلحا بأن الاكتشافات الأولى، والتي تمت لأسباب استعمارية، ظلت بين يديه هو، وحجبت عن السكان أصحاب المصلحة فيها. فعملوا على تشويه حضارات الجزء الشمالي الآسيوي من الأمة العربية، بهدف إيجاد حيز لقبائل رعوية بدائية، خارجة من التسخير العبودي وغارات السلب والنهب، وبهدف التغطية على الدور السلبي لهذه القبائل التي عاشت، وعلى الدوام، على أدنى هامش لحضارات العراق وسوريا وفلسطين والأردن ولبنان ومصر.

الفرية الأبرز، على الجانب الفلسطيني، الزعم الشائع والمتداول، والذي وقع ضحيته العديد من الكتاب العرب والفلسطينيين، وحتى الموسوعة الفلسطينية سقطت فيه، بأن الفلسطينيين هم من جزيرة كريت، أي أن أصولهم أوروبية، شأنهم شأن الغالبية العظمى من المهاجرين اليهود إلى

فلسطين في القرنين التاسع عشر والعشرين. وتناسى كتبة هذه المقولة، الهجرات، الكنعانية المغرقة في القدم، منذ ما قبل الفخار، والمتواصلة في عهدي الفخار والنحاس، ثم في عهد البرونز والحديد، إلى جزر البحر الأبيض المتوسط، حتى غدت قبرص وصقلية وكريت ومالطة وسردينية، مستوطنات فينقية في عصور لاحقة. وظلت حضارات كريت، لعهود طويلة معتمدة على الخلط السكاني لأصول تنتمي إلى فلسطين وتركيا واليونان، وهي أصول ما سمي بشعوب البحر، التي فقدت موطنها وغدت حائرة في مياه المتوسط، فعاد كل طرف، بعد حروب قصيرة إلى موطنه الأصلي. ولأن الهجرات الكنعانية الأولى باتجاه شواطىء لبنان وسوريا، اعتمدت على قبائل فلسطينية من الجنوب (قطاع غزة وبئر السبع والنقب)، فمن الطبيعي أن تعود هذه القبائل إلى موقعها القديم، وأن تشرع، وعلى الفور، في مقاومة القبائل العبرانية، وأن تتحالف مع العشائر الكنعانية الأخرى، وأن تتعبد للآلهة إيل وبعل وداجون وملقارت وشيمون وسواها، وأن تذوب كليا في محيطها الكنعاني الأصلي في فترة السيطرة الآشورية على الجزء الشمالي من فلسطين.

الفرية الثانية، لا تعدو أكثر من كونها مشاغبة على هامش التاريخ، عندما تدعي الدراسات التاريخية، أن النهوض

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحضاري في بلاد الشام الطبيعية، يعود إلى هجرة عناصر من خارج المنطقة. وهو ما دحضه علم الآثار، في قراءة شواهد العصور الحجرية، في العراق وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان، وانتقال الإنسان من مرحلة التقاط الغذاء وجمعه، إلى الزراعة، ومن الكهوف إلى بناء القرى والمدن، ومن الصيد البري إلى تدجين الحيوانات، ومن الأدوات الحجرية إلى الأدوات الفخارية والنحاسية والبرونزية. وعندما جاء عصر الحديد، كانت غالبية المنطقة تعيش اما في دويلات مدن مزدهرة وعامرة، أو في إمبراطوريات أعظم وأقوى. وهذه الأصول السكانية، هي اساس النمو السكاني اللاحق من جهة، وأساس الهجرة من الشمال نحو الجنوب، وليس العكس. وما هجرات الجنوب نحو الشمال، سوى عودة المهاجرين القدامى إلى مواطنهم الأصلية.

هذا على المستوى التاريخي والأثري. أما على المستوى الديني، وطالما أن الحياة الثانية بعد الطوفان، قد ابتدأت شمالية، من العراق أولا، ثم من فلسطين وسوريا والأردن ولبنان ثانيا، فإن المنطق يفترض الهجرة السكانية، في كل الاتجاهات، ومنها الجنوب، كأساس لإعادة إعمار الكون، أو للمناطق التي لم تفقد ذاكرة المكان قبل الطوفان. وبانتساب

غالبية ما نعرف من أقوام قديمة. إلى نسلي سام وحام، تكون شجرة النسب ذاتها، قد برهنت على أصلها الشمالي.

الفرية الثالثة، التي لم تدم طويلا، والتي تمثلت في مسعى القبائل العبرانية لإيجاد مبرر للبقاء في وطن ليس لها، بإحالة السبب إلى الله، تارة في الوعد الإلهي، وأخرى في سيادة "يهوه"، رب الجنود، على ما عداه من الآلهة المحلية. وعندما عجزت هذه القبائل عن إقناع ذاتها، فيما تدعيه، اضطرت إلى سرقة ألهة الكنعانيين التوحيدية والوثنية، مضحية بنقاء العقيدة من أجل البقاء. فأيل، رب الأرباب في الديانة الكنعانية، وأول ملمح توحيدي مبكر، مازال حتى يومنا الحاضر يعني الله، أخذه العبرانيون وجمعوه على "أيلوهيم". وبعل، بمعنى السيد ورمزه الثور، وهو اله المطر أساسا، أخذه العبرانيون وتعبدوا له وجمعوه على "بعليم"، ولإظهار قوة وسيطرة هذا الإله الكنعاني، نجد ان كل شعوب العالم في عصرنا، مازالت تنسب الأراضي غير المروية إلى بعل، فهي أراضي بعلية، أي الأراضي التي يسقيها الإله بعل. ولأن بعل في الديانة الكنعانية القديمة هو ابن أيل، فقد استعار الكثير من صفاته، وصار من الممكن انتساب هبة المطر إليهما معا. فمنطقة مرج ابن عامر في فلسطين كان اسمها الكنعاني

مكتبة المهتدين الإسلامية

يزرعيل، أي ايل-يزرع، وهي بالمعنى ذاته المنسوب إلى بعـل، ولكن هذه المرة، إلى الاله الأسمى، رب السموات والأرض.

كما تعبد العبرانيون إلى الإله الكنعاني عشـتار وسـموه عشتاروت، كأله للحب والجمال والأم الكبرى. وسـواء اتخـذ صيغة المؤنث، وهو الأساس، أو المذكر، فهذا الإله هو ذاتـه افروديت وفينوس (أثينا وروما) وعثتر (اليمن) وعشتار (بابل) وعشتاروت (صور، صيدا، عمريت، أوغـاريت، صقليـة، ..)، وايزيس (مصر).

وفي اللغة، تخلت القبائل العبرانية عن رطانتها اللغويـة، عندما استقرت في أرض فلسطين وأنجزت العبرية الكنعانيـة، فانتقلت بذلك من الإرث الشفوي إلى الكتابة، واصبحت تشـكل، كما يقول علماء اللغة، واحدة من اللهجات الكنعانية.

ونظرا لبراعة الكنعانيين في صناعة التعدين، فقد صنعـوا أسلحة فتاكة من الحديد والفولاذ. سواء بالسيوف والرمـاح، أو بالنبال والسهام، أو الدروع الحديدية والخـوذ الفولاذيـة، واستخدموا العربات والمراكب والخيول في معاركـهم البريـة والبحرية. وشكل هذا التفوق عقدة عند العبرانيين، لم يتمكنـوا من تقليده، إلا في عهد الملك سليمان، الذي لم يحـارب قـط، فحشد المركبات وأشاد أسطولا بحريا للتجارة. ومع ذلك ظـل العبرانيون، المنتقلون من الرعي إلى الزراعة، تحـت رحمـة

الصناعة الفلسطينية للأدوات الزراعية. والذين استقروا في المدن، حاولوا تقليد الفلسطينيين في أثاثهم الفاخر وأدواتهم المنزلية المتطورة.

وهكذا بعد أن يئس العبرانيون من إمكانية تصفية الشعب الفلسطيني، حاولوا مقاسمته منجزاته، ثم سرقتها بالكامل من اللغة والدين إلى الصناعات الحربية والمنزلية، إلى هندسة البناء للمساكن والقصور والمعابد والأسوار، إلى صناعة السفن والعربات الخشبية والحديدية، وصولا إلى فنون النحت والرسم والزخرفة وفنون الصباغة والحياكة والتطريز والفنون الشعبية في الدبكة والزجل والأغاني وطقوس الأعياد وحفلات الزواج والمآتم.

ولأن الغالبية العظمى من اليهود الباقين في العالم اليوم "هم من أصل أوروبي شرقي، ومن ثم من أصل خزري"، كما يقول آرثر كوستلر (إمبراطورية الخزر وميراثها، الجليل، دمشق ١٩٨٥ ص٢٢) وأن "أسلافهم لم يأتوا من وادي الأردن وإنما من الفولجا، ولم ينحدروا من كنعان وإنما من القوقاز" ولذلك فهم "أوثق انتماء وراثيا إلى قبائل الهون والبوجر والمجر، منهم إلى ذرية إبراهيم واسحق ويعقوب". لذلك فنحن أمام هجرة سكانية أجنبية، لها مثيل في الغزوات الصليبية، ومرحلة السيطرة اليونانية والرومانية، ولا تستطيع أن تستمر

مكتبة المهتدين الإسلامية

بدون سرقة حاضر وذاكرة الفلسطيني. ودراستنا هنـــا، هـــي محاولة تنشيط هذه الذاكرة ومنحها كل عناصر تجديد النهوض، بروح العصر وآفاقه.

علي حسين خلف

عمان ١٩٩٥

الفصل الأول

فلســـطين
تـــاريخ
وحضـــارة

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الأول

فلسطين تاريخ وحضارة

استدل علماء الآثار من وجود عظام متحجرة لحيوانات لبونة في فلسطين، في العصر الحجري القديم، على "أن الإنسان وجد في فلسطين، منذ أقدم العصور، وأنه عاصر أقدم النماذج البشرية"[1].

وأطلق العلماء على هذه المرحلة اسم الكيباريه، نسبة إلى موقع كيبارة في جبل الكرمل بفلسطين، وتمتد من مرحلة ضاربة في القدم، حتى إنتاج الغذاء، حيث استخدمت النصيلات الصوانية دقيقة الحجم وهلالية الشكل، إلى جانب استخدام الأجران والمدقات لطحن الحبوب البرية. ودلت الاكتشافات الأثرية في فلسطين والأردن على وجود المكاشط والمثاقب والمناكيش في طبريا (عين غيف) والنقب (وادي زين) ورأس النقب والحرانة.

---

(1) الأب انطوان نمنم: المواقع الأثرية بفلسطين في فترة ما قبل التاريخ، ص١١، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، المجلد الثاني، تونس، ١٩٨٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

اعتمد غذاء الإنسان الصياد في هذه المرحلة على لحوم الطرائد البرية والأسماك والنباتات. "ففي جبل الكرمل بلغت عظام الغزال ٧% بالنسبة لسائر العظام المتبقية من طعام الإنسان و ٤٨% في كيباره و٨٣% في وادي فلاح"[٢] وفيما وجدت الأدوات العظمية لصيد الأسماك كالصنارة والخرز في كهوف الساحل الفلسطيني، وجدت أدوات طحن الحبوب في أريحا، بالإضافة إلى المناجل والخطاطيف العظمية.

وبانتقال الإنسان من مرحلة الكيباريه إلى المرحلة النطوفيه (نسبة إلى مكتشفات كهف شقبة في وادي النطوف غربي القدس)، استمرت معه الأدوات الصوانية التي كانت مستوحاة "من حضارة سكان فلسطين الأصليين والتي امتدت من أواسط لبنان وسوريا شمالا حتى مدينة حلوان في مصر جنوبا"[٣].

---

[٢] الأب أنطوان نمنم، مرجع سابق، ص٢٢-٢٣.

[٣] د. معاوية إبراهيم: فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ص٣٣، الموسوعة الفلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٩٠، القسم الثاني-المجلد الثاني.

واتسم العصر النطوفي بخروج الإنسان من الكهوف والمغاور والحفر إلى الهواء الطلق، وبناء المنازل من الأخشاب أو الطين أو الحجارة، وفق المواد المتوفرة في البيئة. وامتدت المواقع النطوفية من جبل الكرمل وكهف شقبة وأريحا والخيام وعين الملاحة ووادي الفلاح في فلسطين إلى تل المريبط في سوريا وإلى البيضا وراحوب في الأردن.

وفي مطلع الألف التاسع قبل الميلاد، شهد غور الأردن بجانبيه ظهور القرى النطوفيه. وفي الألف الثامن قبل الميلاد "ظهرت أولى التجارب الزراعية في أريحا جنوبا وفي تل المريبط شمالا"[٤]. "حيث زرع القمح و الشعير، وظهرت لأول مرة عملية تدجين الماشية في موقع الخيام غربي البحر الميت"[٥].لذلك ظهرت أريحا كقرية مكتملة منذ عام (٨٣٥٠ ق.م)، حيث شهدت حركة بناء من الطين والطوب، على شكل قباب، وأقامت أول سور من الحجارة في التاريخ القديم.

---

[٤] فراس السواح: لغز عشتار، دار سومر، قبرص، ط٢، ١٩٨٦، ص١٨.

[٥] المصدر نفسه، ص١٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

كما "اكتشف نظام التحصينات في أريحا المكون من جدار وبرج وخندق"[٦]. و"عثر على بيوت دائرية مشابهة لبيوت أريحا في عين الملاحة ووادي الفلاح في فلسطين وفي تل المريبط وتل أسود في سوريا"[٧]. بالمرحلة اليرموكية (نسبة إلى مكتشفات موقع الإقحوانة عند مصب نهر اليرموك بنهر الأردن) دخل الإنسان في فلسطين والأردن، مرحلة العصر الحجري الحديث الفخاري، حيث ظهر الفخار المحزز والمزخرف "بالزخرفة المسماة زخارف عظام ظهر السمكة، والمدهون أحيانا باللون الأحمر الغامق"[٨]. أما في موقع أريحا، وفي مرحلة ما قبل الفخار، عرفت المدينة صناعة الأدوات الفخارية، كالصحون والجرار البيضاوية، التي صنعت من عجينة مخلوطة بالقش، ودهنت الأدوات باللون الأحمر وزخرفت بأشكال "مثلثات أو خطوط بسيطة أو متعرجة"[٩].

---

[٦] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص ٣٩.

[٧] المصدر نفسه، ص ٣٩.

[٨] د. معاوية ابراهيم، ص ٤٥.

[٩] المصدر نفسه ص٤٥.

وفي العصر الحجري الحديث المتأخر، قل استخدام القش في عجينة الفخار، وأضيف العنق إلى الجرار، واقتصر الصقل على الأواني الصغيرة. ولم تقتصر هذه الصناعة على مدينة أريحا، إذ ظهرت في " تل المتسلم وبيسان والشيخ علي وبلاطة وتل الفارعة في فلسطين، وفي تل الشونة الشمالية وسحاب في الأردن"[١٠].

موجات الهجرة الأولى للفلسطينيين من فلسطين إلى خارجها وفي كل الاتجاهات، حدثت في الألف السابع قبل الميلاد، بسبب تقلب الأحوال الجوية التي حولت فلسطين إلى شبه صحراء.

والذين آثروا البقاء، تجمعوا حول مراكز المياه في بحيرتي الحولة وطبريا ونهر الأردن وخليج العقبة وساحل البحر الأبيض المتوسط. وعززت مرحلة الفراغ المجهول في الألف السادس قبل الميلاد، اندفاع الهجرات نحو الخارج. وفي الألف الخامس قبل الميلاد، شهدت فلسطين صناعة الخزف والفخار المشوي والتماثيل النسائية، التي وصفها جاك كوفمان بأنها

---

(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

"بلغت درجة عالية من الفن"[١١]. ولعل هذا المستوى المتطور في صناعة الفخار، هو الذي دفع بعض الباحثين بإيعازه إلى خبرة خارجية قادمة من سوريا، عندما أكدوا أن سوريا تعلمت "فن البناء النطوفي ونحت التماثيل من فلسطين"، وأن فلسطين تعلمت "صناعة الفخار من سوريا"[١٢].

وفي العصر الحجري النحاسي المرتبط باكتشاف أقدم معدن نحاسي في تل الغسول (الشمال الشرقي للبحر الميت)، ومواقع بئر السبع (خربة البيطار-بئر الصفدي-تل أبو مطر)، وما يماثلها من مواقع فلسطينية أخرى في تل الفارعة (نابلس) وخربة الشيخ ميصر (يافا)، تبلورت القرى الزراعية المحاطة بأسوار، وانتشرت مغازل النسيج والأدوات البازلتية للطحن والجرش، وسادت ظاهرة دفن الموتى في جرار فخارية وتحت مصاطب البيوت.ولعل "أهم ما يميز اللقى في مواقع بئر السبع (خاصة في بئر الصفدي) وجود عدد من التماثيل (الدمى) الآدمية من العاج تمثل رجالا ونساء، تعتبر هذه التماثيل من أقدم العاجيات المصنعة في الشرق القديم وتمثل تطورا ملحوظا في

---

(١١) انطوان نمنم، مرجع سابق، ص٣١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

هذه الصناعة. والجدير بالذكر أنه وجد في بئر الصفدي مصنع للحلي والدمى العاجية والعظمية، مما يدل على ان هذه المكتشفات صنعت محليا وبشكل مستقل عن الحضارات الشرقية القديمة المجاورة"[١٣].

وبعد ان افتتح العراق، تاريخ البشرية المكتوب في الحضارة السومرية، شهد عصر البرونز، صراعات حادة بين دويلات المدن على مياه الري، واستطاع سرجون الأكادي أن يقيم مملكة واحدة من جميع الدويلات "شملت جميع العراق"[١٤]، وهو ما افتقدته، بقية مناطق بلاد الشام الطبيعية، بما فيها فلسطين. وتشير الدراسات المقارنة، حول علاقة فلسطين بالمناطق المجاورة، في الألف الرابع قبل الميلاد، أن الفخار الفلسطيني تم تصديره إلى مصر، ووجدت اقرب الأمثلة إليه في أواسط الأناضول وشرقيه، وفي طرطوس على الساحل السوري، وفي بلاد ما بين النهرين في مرحلة الوركاء[١٥].

---

[١٣] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص ٥٥.

[١٤] مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٨٢، ص٤٠.

[١٥] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص ٥٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وإذا دل هذا على العلاقات التجارية القديمة بين فلسطين ومحيطها الآسيوي والأفريقي القريب، فإن توطد العلاقات الفلسطينية المصرية، لم يأخذ شموليته إلا في مرحلة الألف الثالث قبل الميلاد.

فمصر ليست بحاجة إلى نحاس فلسطين. إذ كانت تستغل هذا المعدن استغلالا واسعا من صحراء سيناء وتدخله في معظم الصناعات المدنية والحربية. ولكن الموقع الجغرافي لفلسطين، كونها المنفذ الرئيسي لاتصال مصر بآسيا، تطلب من فراعنة السلالات المصرية المتعاقبة، إيجاد نوع من السيطرة، وإذا لم يتيسر فالنفوذ السياسي لتأمين الطرق التجارية من جهة، ولجعل فلسطين بوابة أولى تتلقى مطرقة كل طامع بغزو مصر عن طريق البر الآسيوي.

وبذلك تعززت العلاقات المصرية مع المواقع الحضارية الفلسطينية. وفيما وجد "ختم اسطواني يعود إلى عهد الأسرة الأولى في سهل سارون بفلسطين، عثرت مدام ماركت في

إحدى معابد مدينة عاي (التل) علىأكواب من المرمر وطبق من الجرانيت الوردي من أصل مصري"[١٦].

وفي المقابل وجدت مصنوعات فخارية فلسطينية في "مقبرة الملك جر في ابيدوس"، وموجودات خزفية فلسطينية في " قبور الجيزة "[١٧].

إلا ان الطابع الحربي طغى على الجانب التجاري والثقافي، في العلاقة المتبادلة بين مصر وفلسطين. ففي الأسرة الخامسة، تحتفظ الآثار المصرية بمنظر استيلاء المصريين على حصن كنعاني في نيديا. وتذكر نصوص وجدت في مقبرته في أبيدوس، ان الوزير أوني، (في عهد السلالة السادسة) صد "هجوماً لقبائل فلسطينية هددت المصالح المصرية في جنوب فلسطين أو ربما هددت الحدود المصرية نفسها"[١٨].

---

(١٦) د. عز الدين غربية: العلاقات الحضارية بين فلسطين ومصر في عصر البرونز، ص ٣٩. المجلة العربية للثقافة، السنة الثانية، العدد الأول، مارس (آذار) ١٩٨٢.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وخلال احتلال الهكسوس لمصر (١٧٠٠-١٥٥٠ق.م) في العصر البرونزي الوسيط، خمدت التعديات العسكرية بين الطرفين، وخاصة من الجانب المصري الواقع تحت الاحتلال. ونظرا لأنه قيل أن الهكسوس " تبنوا في مصر تطبيق نظام الحكومة المركزية الذي جاءهم من الكنعانيين"[١٩]، وانهم " اتخذوا من أريحا قاعدة لهم بين سنة (١٧٥٠-١٦٠٠ق.م)"[٢٠]، وحافظوا على اسمها الكنعاني "يريحو" أي القمر. فإن حساسية ما، إضافية، تولدت لدى المصريين نحو الفلسطينيين. لذلك أصبح تاريخ الأسرة الثامنة عشرة، والتي طردت الهكسوس، بأنه تاريخ السيطرة على فلسطين من جهة، وتاريخ الصراع مع النفوذ الحوري والحثي المستهدف احتلال كنعان، من جهة أخرى. فتحتمس الثالث يلحق كنعان به. وأخناتون (١٤٠٢-١٣٤٧ ق.م) يواصل مراسلاته الدبلوماسية مع أمراء كنعان، وسيتي الأول (١٣٠٣-١٢٩٠ق.م) ورمسيس الثاني (١٢٩٠-١٢٢٤ ق.م) يرغمان الحثيين على عدم التدخل في فلسطين.

---

[١٩] رجا جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار التراث، بيروت، ص ٧٨.

[٢٠] الموسوعة الفلسطينية، ج١، ص١٩٤.

ومن ناحية ثانية، ينسب بعض المؤرخين إلى ابن خلدون قوله بأن فراعنة مصر منذ إبراهيم الخليل وحتى موسى، هم من الهكسوس، ويرقون في نسبهم إلى العمالقة "وأن فرعون إبراهيم، اسمه سنان بن الأثل، وفرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد، وفرعون موسى اسمه الوليد بن مصعب"[٢١]. بذلك يكون دحر الهكسوس متزامن مع فرض التسخير على العبرانيين في مصر، ومقدمة لهروبهم الكبير.

هذه الأقوال وسواها، بحاجة إلى تدقيق، لضبط الأحكام العامة في سياق التاريخ، فالفترة الزمنية بين إبراهيم الخليل وموسى، هي ثلاثة أضعاف فترة حكم الهكسوس لمصر. علما أن خروج العبرانيين لم يتم في العصر البرونزي الوسيط أو الأخير. فهناك "شبه إجماع بين المؤرخين والأثريين على جعل القرن السادس عشر قبل الميلاد نهاية العصر البرونزي الوسيط، عندما تمت هزيمة الهكسوس وسقوط عاصمتهم افاريس حوالي

---

[٢١] سامي حاوي: جذور وبراعم، مطابع كويت تايمز، الكويت، بلا تاريخ، ص٧١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

سنة (١٥٦٧ ق.م) إيذاناً بانتهاء حكم الأسرة السادسة عشرة في مصر، واستعادة طيبة كمركز لحكام الأسرة الثامنة عشرة"[٢٢].
و"أن العصر البرونزي الأخير، فيمتد من منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد.ويتسم بالسيطرة المصرية شبه التامة على بلاد الشام أثناء حكم الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة"[٢٣].

الحقيقة الإضافية المتمثلة في توحيد الإمارات والدويلات الفلسطينية في حكومة مركزية واحدة تحت حكم الهكسوس، هو الذي مكنهم من نقل النموذج الكنعاني الموحد إلى مصر، عند احتلالها، وهو الذي أبقى على أريحا عاصمة ثانية لهم. ففلسطين، بمجملها، كانت واقعة تحت حكم الهكسوس، قبل احتلال مصر، بما يزيد عن خمسين سنة. وإن ملاحقة الهكسوس، بعد طردهم، إلى شاروهين، في جنوبي فلسطين، هو الذي دفع بالاضطرابات إلى الجنوب والوسط. واتسمت إدارة الاحتلال المصري لفلسطين بالعسف والاضطهاد، وإفقار البلاد

[٢٢] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص ٩٤.

[٢٣] المصدر نفسه.

بما تفرضه على حكام الولايات والإمـــارات والدويـلات مـن خراج، وربط كل واحد منهم مباشرة بالحكم المصري، وتعطيـل الوحدة المركزية للإمارات الفلسطينية، وقمـع أي مظـهر مـن مظاهر التمرد أو الاحتجاج، بـل وتغذيـة عوامـل الخـلاف والنزاعات المحلية، كما تشير بذلك رسائل تل العمارنة.

وفي العصر الحديدي، عاشـت فلسـطين، أكـثر فتراتـها اضطرابا وتداخلاً. فلم تضعف قبضة الاحتلال المصـري، إلا والبلاد في حالة من الفوضى والتمزق والإرهاق، ولـم يتوقـف الصراع بين الإمبراطوريتين العراقية والمصرية، الذي يـدوس بأقدامه، وعلى الدوام، الممالك والإمارات الفلسـطينية. ترافـق ذلك مع بروز ما يسمى بالشعوب البحرية، وعودة الفلسـطينيين من كريت والبحر إلى موطنهم الأصلي في جنـوب فلسـطين، وظهور القبائل العبرانية الساعية إلى غزو واحتلال فلسطين.

لقد تشكلت شعوب البحر، من عنـاصر يونانيـة وتركيـة وفلسطينية، وعندما غدت بلا وطن، وبعد فشـلها فـي احتـلال مصر وهزيمتها على يد رمسيس الثـالث (١١٨٤-١١٢٣ق.م)، وفشل محاولاتهم في مهاجمة هانوشا عاصمة الحثيين ومملكة

مكتبة المهتدين الإسلامية

رأس شمرا (اوغاريت)، عاد الإيجيون إلى موطنهم الأصلي في جزيرة كريت، وعاد الحثيون إلى موطنهم الأصلي في الأناضول، وظل الفلسطينيون وحدهم في البحر، فعادوا، هم أيضا، إلى موطنهم الأصلي في جنوب فلسطين واستقروا فيه.

وعند إجراء دراسات مقارنة في الدين واللغة، نكتشف أن الميناتور الإغريقي في كريت ما هو إلا صورة، طبق الأصل، عن الإله بعل الكنعاني، وأن أبجدية كريت ذات أصول سامية كنعانية، وحتى القصور والمعابد شديدة الشبه بمثيلاتها في فلسطين واوغاريت وصور. بل وامتدت التأثيرات الكنعانية إلى تونس، فالمعبد البوني في كركوان "وسور المدينة نجد لها مثيلا في أرض فلسطين وقد عثر عليها في تل النصبة"[٢٤] "وان جل أعضاء دار الآلهة في فلسطين دخلوا قرطاج والمدن العربية البونية، ومن أعظم الآله والآلهات في فلسطين وفي قرطاج بعل وعشترت ومن آلهة كنعان ملقرت واشمون ودجان"[٢٥].

---

[٢٤] محمد حسين: من فلسطين وأرض كنعان إلى قرطاج، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، المجلد الثاني، تونس، ١٩٨٤، ص٨٣.

[٢٥] المصدر نفسه.

ويقول البوفسور كارل بتراتشيك، ان سكان المناطق الشمالية الغربية من سوريا (فلسطين) "تقلوا إلى شبه الجزيرة العربية الأبجدية السامية، وخلقوا في دولهم حضارة اعتمدت على الأبجدية"[٢٦]، لذلك يستنتج أن "سكان دولة سبأ كانوا من أصل شمالي"[٢٧].

ورغم معرفة علماء الآثار والتاريخ، بتلك العلاقة الطويلة بين فلسطين ومصر، وان مدنا مثل مجدو وبيسان وغزة كانت مراكز هامة للإدارة المصرية، عدا عن وجود جاليات مصرية في غالبية المدن الفلسطينية، حيث شاع استخدام التابوت المصري في عمليات الدفن، كإضافة لما اعتاده الفلسطينيون في عمليات الدفن في الأرض والصخور والمغاور، ومع ذلك يعد بعضهم استخدام الفلسطينيين في الجنوب للتوابيت بأنه علامة حضارية غريبة، لنفي الاعتراف بأن الفلسطينيين هم إحدى القبائل التي هاجرت إلى ساحلي سوريا ولبنان، وسميت

---

[٢٦] كارل بتراتشيك: لغات شبه جزيرة العرب ما قبل التاريخ، ص٧٤-٧٥، الاستشراق، العدد الأول، كانون ثاني ١٩٨٧، بغداد.

[٢٧] المصدر نفسه.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالفينيقيين. ولأن لفظة الفينقيين هي تعبير مهني عن الوظيفة "تاجر الإرجوان" فهي مرادف لكلمة كناخي "تاجر الإرجوان"، فالإثنتان هما شيء واحد، الأول أطلقه الإغريق على تجار الإرجوان، والثاني لغة أهل البلاد.

فالدفن في التوابيت عادة مأخوذة من المصريين، وشاع استخدامها في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا. ومن الطبيعي والمنطقي أيضا، أن يتأثر الفلسطينيون العائدون من جزيرة كريت بشيء من الحضارة الإيجية، وأن ينقلوه إلى فلسطين، وفق الطابع الفلسطيني العام. وهو ما فعلوه بالفخار والمعابد. فالإله داجون، إله الغلة في الديانة الكنعانية، بقي معبده الرئيس في غزة، وأجلّه الفلسطينيون، وحافظوا على اسم الإله رشف في اسم مدينة ارسوف الساحلية، وصاروا فور استقرارهم، جزءاً أصيلا من جماعة "إيل" في مواجهة الـ "يهوه" اله القبائل العبرانية. والفخار الملون، والمزخرف بأشكال هندسية، معروف في فلسطين منذ العصر الحجري، وما صنعه

الفلسطينيون في الجنوب كان من طينة محلية "وصانعوها محليون أيضاً"[٢٨].

ولذلك أصبح الفلسطينيون، وعلى الفور، شركاء في الحروب الدفاعية التي خاضتها القبائل الكنعانية ضد العبرانيين منذ حملة يوشع بن نون، حتى سقوط السامرة، عاصمة إسرائيل في الشمال عام (٧٢٢ق.م) على يد الآشوريين، وسقوط مدينة القدس، عاصمة يهوذا في الجنوب عام ٥٨٧ق.م على يد البابليين. وتبعاً لتاريخ تأسيس مملكة إسرائيل في الشمال حوالي (١٠٣٠ق.م)، فتكون قد عاشت دولة إسرائل (٣٠٨) سنوات، وهي فترة أقل من مدة إقامتهم في مصر، ودولة يهوذا (٤٤٣) سنة، بما يزيد قليلاً عن فترة عبوديتهم.

ولأن القبائل العبرانية قبائل بدوية متنقلة تعتمد على الرعي، وذات جذور متوحشة في انتمائها لقبائل السلب والنهب والقتل (القبائل الأمورية)، أو للفرع المستوحش من الأموريين، فقد كانت غريبة في فلسطين، عن كل شيء، عن الأرض، أرض كنعان، وعن اللغة المتفوقة على الرطانة، وعن الحياة المدنية

---

[٢٨] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص ١١٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الراقية في القصور والقلاع بدلاً من الخيمة، وعن كل ما هو صناعي وزراعي، وعن أدوات الاستخدام اليومي والزينة المنتشرة في دويلات المدن الكنعانية، بدلاً من التقشف وستر العورة. ولذلك رافقت هذه القبائل، عقدة أن يصيروا كنعانيين في المسكن والملبس وأدوات الحرب والزينة والصناعات.

ولفرط رغبتهم في التخلص مما عرفوا به، تركوا شرائعهم التوحيدية، والتحقوا، في أغلب الأحيان بديانة سكان البلاد الأصليين، فعبدوا ايل وبعل وعشتار، واضافوا لها الهة العمونيين والمؤابيين.

وتكاد تتشابه فترة حكم العبرانيين في فلسطين، بفترة حكم مملكة الميتاني "الذين لم يتمكنوا من فرض لغتهم أو دينهم"[٢٩]، وظلت البلاد فلسطينية الطابع. إذ لا يزيد الاحتلال عن كونه مجموعة من الجزر الأجنبية في محيط من السكان الأصليين.

---

[٢٩] رجا جارودي مرجع سابق، ص ٧٩.

الفصل الثاني

التوراة: النص المتناقض

مكتبة المهتدين الإسلامية

عرقي، وبالغت في البطولات إلى حدود الهلوسة، واسرفت في كيل الاتهامات للشعوب الأخرى، مما أوقعها في تناقضات فاقعة. فعلى سبيل المثال، لا الحصر، تبدو الفرية الدينية الساذجة المسماة بـ "لعنة كنعان"، مدعاة إلى تأمل العقلية التي وقفت وراء صياغتها. إذ يزعم النص أن الله هو الذي قال: "ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته"، وأنها جاءت على لسان النبي نوح. والغريب أن كنعان في هذا لم يرتكب إثما، كما تشهد التوراة بذلك، وإنما يقوم بتسديد فاتورة حساب أبيه، الذي رأى عورة النبي نوح ولم يسترها!!

وبالأسلوب ذاته نجابه إشكالية شجرة النسب في التوراة و فقدانها لعلة السببية. فرغم نشأة العبرانيين، في ظل أرقى ثلاث حضارات عربية قديمة (العراق-فلسطين-مصر)، فإنهم حافظوا على طابعهم البدوي الرعوي وليست لهم اية مساهمة حضارية في هذه البلدان، إذ انحصر همهم في وراثتها وتدميرها. ويعتبرون أن انتسابهم إلى عابر أحق وأولى من قحطان! وينسون أن قطحان هو الابن المباشر لعابر، وأن إبراهيم الخليل

مكتبة المهتدين الإسلامية

هو الجيل الخامس له، والجيل التاسع بعد سام. فمن أحق بعابر ابنه المباشر أم الجيل الخامس من نسل فالج؟! وبأخذ عينة متواضعة من البطولات المفرطة في المبالغة، نكتفي بأخذ حادثتين لشمشون من سفر القضاة.

تقول الأولى: "انطلق شمشون واصطاد ثلاث مئة ثعلب، وأخذ مشاعل فجعل الثعالب ذنبا إلى ذنب، وجعل بين كل ذنبين مشعلا، وأوقد المشاعل وأرسلها في زرع الفلسطينيين فأحرقت الأكداس والزرع حتى الزيتون"[٣٠].

وتقول الثانية: "وبفك حمار قتلت ألف رجل"[٣١].

والفقرتان غنيتان عن التعليق.

وهناك حدثان ثابتان من الناحية الدينية يهوديا وإسلاميا، ولكنهما يثيران إشكالية مازالت دون إجابة قاطعة. الحدث

---

[٣٠] التوراة، سفر القضاة، الفصل ١٥، الفقرات ٤ و٥.

[٣١] المصدر نفسه، الفصل ١٥، الفقرة ١٦.

الفصل الثاني

التوراة: النص المتناقض

التوراة هي الكتاب المقدس للديانة اليهودية، وتشتمل على خمسة أسفار نسبت إلى النبي موسى وهي: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر الأحبار، سفر العدد وسفر تثنية الاشتراع. ولاختصاص الدين بالقبائل العبرانية دون سواها، أعتبر أول دين قبلي في التاريخ ينسج علاقة فريدة بين القبيلة والخالق.

تعرضت التوراة إلى إعادة صياغة وتدخل في النص الديني، امتد حوالي تسعمائة سنة، من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول بعد الميلاد، ثم أعيد النظر بها مرات عدة بعد ظهور الديانة الإسلامية، وأضاف الأحبار، عددا واسعا من الأسفار المضافة إلى الأسفار الخمسة، و بذلك فقدت التوراة قدسية الحفاظ على النص الديني، وتحولت إلى مادة تجريبية لدى الأحبار بالحذف والإضافة والتعديل.

ويبدو ان رد الفعل الإنفعالي على السبي إلى بابل ونينوى، عزز النرجسية المفرطة لدى بعض الأحبار وأوصلهم إلى السقوط في فاشية بدائية حولت التفضيل الديني إلى تفضيل

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأول يتعلق بطبيعة الدين اليهودي، كدين خاص للعبرانيين، دون سواهم من البشر، فهو دين قبلي مغلق، ومع ذلك يدشن خطوته الأولى بنقيض ذلك، عندما يستخدم كل المعجزات للنبي موسى من أجل إقناع فرعون مصر!! لماذا؟ في الوقت الذي لا تسجل فيه حالة واحدة توجه فيها النبي موسى لاستقطاب مصري واحد من عامة الشعب إلى ديانته الجديدة! فلماذا هذا الجهد الضائع على رأس السلطة في مصر؟! ولو افترضنا استجابة الفرعون، فهل يعني أن تتوقف الدعوة في حدود مصر؟! وهل ستأخذ التوراة، التي تلقاها لاحقا في طور سيناء، مسارا جديدا؟! والافتراض بأن فرعون ارتد عن دعوة أخناتون في عبادة الإله الواحد "أتون"، يتطلب وجود علاقة ما لموسى، قبل الرسالة، بهذه الدعوة . فهل كان موسى أحد كهنة ديانة أخناتون؟ وهل هو أحد رسله إلى فلسطين أو الدلتا؟ صحيح أن وقائع حياته في القصر الملكي تجعله على اطلاع دائم بمجريات الأمور السياسية والدينية والحربية، وتحوله من شاهد محايد، إلى مشارك فعال ومسؤول. والثابت أن الارتداد عن ديانة أتون، شمل، فيما شمله، تسخير العبرانيين لأعمال العبودية، بما يوحي ضمنا أن العبرانيين ضد الارتداد الرسمي عن الديانة

التوحيدية، وضد فرض التسخير عليهم. فعندما رأى موسى "رجلاً مصرياً يضربُ عِبْرانيا من أخوته/التفَت يميناً وشمالاً فلَمْ يرَ أحداً فقتَلَ المصريَّ وطَمَرهُ في الرَّمل"[٣٢]، وهرب من عقوبة فرعون والتجأ إلى مدين.

وفي مدين، صاهر موسى كاهنها رعوايل، وتزوج ابنته صفورة. ويدل لقب الكاهن على ولائه للإله "ايل" رب السموات والأرض في الديانة الكنعانية، وهو ذاته نبي مدين، النبي العربي شعيب. الحدث الثاني مازال لغزاً محيّراً أمام المؤرخين، والمتمثل بخروج العبرانيين من مصر، ومعجزة فلق ماء بحر سوف (البحر الأحمر). ويرسم النص التوراتي، صورة مفجعة، لكيفية الخروج، عندما يقول بأن الله ضرب بكر (بكسر الباء) كل أسرة مصرية، من فرعون وعبيده إلى سائر المصريين، فتحولت مصر إلى مناحة كبرى عندما فقد كل بيت ميتاً له! عندها "دعا موسى وهارون ليلا وقال قوما فأخرجا من بين شعبي، أنتما وبنو إسرائيل، وامضوا اعبدوا الرب كما قلتم"[٣٣]. وعندما يدرك فرعون هروب العبرانيين يأخذ "ستمائة مركبة

---

[٣٢] التوراة، سفر الخروج، الفصل الثاني، الفقرتان ١١-١٢.

[٣٣] التوراة، سفر الخروج، الفصل ١٢، الفقرة ٣١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مختارة وجميع مراكب مصر، وعلـــــى جميعــها ثلاثيــون"[٣٤] ويطاردهم. وعندما كاد أن يدركهم قال الرّب لموســــى "ارفــع عصاك ومد يدك على البحر فشقه فيدخل بنو إسرائيل في وسطه على اليبس"[٣٥]. "ومدَّ مُوسى يده على البحر فأرسل الربٍّ علـــى البحر ريحا شرقية شديدة طول الليل حتى جعل في البحر جفافــا وقد انشقَّ الماءُ/ودخل بنُو إسرائيل في وسط البحر على اليبـــس والماء لهم سور عن يمينـــهم وعــن يســارهم"[٣٦]. "وتبعــهمُ المصريون ودخلوا وراءهم جميـــع خيــل فرعــون ومراكبــه وفرسانه إلى وسط البحر"[٣٧]، "فقال الرب لموسى مد يدك علــى البحر فيرتد الماء على المصريين على مراكبهم وفرســـانهم"[٣٨] "فمد موسى يده على البحر فارتد البحر عند انبثاق الصبُّــح إلى

---

[٣٤] التوراة، سفر الخروج، الفصل١٤، الفقرة ٧.

[٣٥] المصدر نفسه، الفقرتان ١٥-١٦.

[٣٦] التوراة، سفر الخروج، الفصل ١٤، الفقرتان ٢١-٢٢.

[٣٧] المصدر نفسه، الفقرة ٢٣.

[٣٨] المصدر نفسه، الفقرة ٢٦.

ما كان عليه والمصريون هاربون تلقاءه فغرَّق الرُّب المصريينَ في وسط البحر"[٣٩].

فإذا كان العبرانيون من آل يعقوب قد دخلوا مصر وهم "سبعون نفسا"[٤٠]، ومكثوا "أربع مئة وثلاثين سنة"[٤١]، وخرجوا وهم حوالي المليون، فإن حادثة البحر الأحمر، تعبر عن التحام قوة كبرى من الطرفين، ومع ذلك لا توجد أية وثيقة فرعونية تشير إلى هذه الحادثة تصريحاً أو تلميحاً. وهو ما دفع دوفو إلى القول "إننا لا نجد في أي نص مصري أقل أثر لتلك الإقامة الطويلة للعبرانيين في بلد الفراعنة"[٤٢].

صورة الأنبياء

تقدم التوراة، في أسفارها الخمسة الرئيسية والأسفار الملحقة، صورة غريبة للأنبياء المبجلين في الديانة اليهودية،

---

[٣٩] التوراة، سفر الخروج، الفصل ١٤، الفقرة ٢٧.

[٤٠] المصدر نفسه، سفر التكوين، الفصل ٤٦، الفقرة ٢٧.

[٤١] المصدر نفسه، سفر الخروج، الفصل ١٢، الفقرة ٤٠.

[٤٢] جارودي، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفي الديانتين المسيحية والإسلامية. فتضعهم في تضاد مع معتقداتهم، وخاصة في التحريم والتحليل، أساس أي سلوك أخلاقي في كل دين. فتدّعي أن النبي لوط أنجب طفلين من زنا المحارم مع ابنتيه!! وأن النبي يعقوب (إسرائيل) جمع بين الأختين في الزواج (ليئة وراحيل)!! والنبي هارون عبد العجل في تيه سيناء! وداود زنا بزوجة أوريا الحثي ودفعه للموت حتى يأخذ زوجته! وسليمان الحكيم عبد الأصنام وهو صاحب "ثلاثة آلاف مثل وكانت أناشيده ألفا وخمس أناشيد"[٤٣]، وأن النبي إبراهيم وابنه النبي اسحق سكتا عن زوجتيهما وهما تساقان إلى بيوت الملوك طلبا للنجاة!! وأن يهوذا، رأس سلالة الأنبياء، زنا بكنّته أرملة ابنه! وهذه هي التفاصيل، كما وردت في التوراة :

١) النبي لوط

افترق النبي لوط عن عمّه النبي إبراهيم، وسكن في مملكة سدوم مع أسرته. وعندما جاءه الملكان، حاول أهل سدوم فعل الفاحشة بهما، فعرض لوط ابنتيه عوضاً عنهما "لأنهما دخلا

---

(٤٣) التوراة، سفر الملوك الثالث، الفصل الرابع، الفقرة ٣٢.

تحت ظل سقفي"[٤٤]. وبسبب ذلك، حل غضب الله على سدوم، فخرج لوط وزوجته وابنتاه، والتجأ مع ابنتيه إلى كهف في الجبل، بعد أن تحولت زوجته إلى عامود ملح لأنها نظرت خلفها. وفي الكهف، تناوبت البنتان على سقاية أبيهما الخمر ومضاجعته "فحملت ابنتا لوط من أبيهما، وولدت الكبرى ابنا وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم/ والصغرى أيضا ولدت ابنا وسمته بنعمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم"[٤٥].

ينسب هذا المقطع، حضارات عريقة مثل المؤابية والعمونية، إلى مشروع طفلين من زنا المحارم. فربة عمون ومؤاب معروفتان قبل لوط بمئات السنين، وبهما ممالك عظيمة. فارض بني عمون احتسبها بعض المؤرخين "من أرض الجبابرة، لأن الجبابرة أقاموا بها قبلا، والعمونيون يسمونهم زمزميين"[٤٦]. أما سكان مؤاب فهم "الإيميون، وهم شعب كثير، طوال القامات كالعناقيين"[٤٧].

---

[٤٤] التوراة، سفر التكوين، الفصل ١٩، الفقرة ٨.

[٤٥] المصدر نفسه، الفقرات ٢٦-٣٨.

[٤٦] المصدر نفسه، سفر تثنية الاشتراع، الفصل الثاني، الفقرة ٢٠.

[٤٧] المصدر نفسه، الفقرة ١٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(٢) النبي يعقوب

أوصى النبي اسحق ابنه النبي يعقوب (إسرائيل) ألا يتزوج من بنات كنعان، ودعاه أن يتزوج من بنات خاله لابان في العراق. وتنفيذا لوصية أبيه، ذهب يعقوب إلى العراق، وخدم خاله بسبع سنين رعي، مقابل تزويجه من ابنته الصغرى راحيل. وعندما دخل بها، بعد انقضاء المدة، اكتشف صبيحة اليوم التالي أنها ليئة، البنت الكبرى، وليس راحيل، كما اتفقا. فقال لخاله: "ماذا صنعت بي؟ اليس أني براحيل خدمتك فلم خدعتني؟"[٤٨] فاقترح عليه لابان أن يكمل أسبوع زواجه، ثم يأخذ راحيل بخدمة "سبع سنين أخر"[٤٩]. وهكذا جمع يعقوب بين الأختين، وهو ما تحرمه كل الديانات.

(٣) يهوذا

تزوج يهوذا، ابن يعقوب ورأس نسل الأنبياء اللاحقين، امرأة كنعانية وكان بكره يسمى "عير". وعندما أصبح في سن

---

(٤٨) التوراة، سفر التكوين، الفصل ٢٩، الفقرة ٢٥.

(٤٩) المصدر نفسه، الفقرة ٢٧.

الزواج، زوجه امرأة تدعى تامار، فمات عير بعد حين وترملت زوجته. ورفض أخوه اونان أن يدخل بامرأة أخيه وأن يقيم له نسلاً، كما تنص العادات العبرية، فطلب يهوذا من تامار أن تقيم في بيت ابيها، حتى يكبر ابنه الثالث "شيلة" فيدخل بها. ولكن يهوذا لم ينفذ وعده عندما كبر شيلة.

وذات يوم، ويهوذا صاعد إلى تمنه ليجزّ غنمه، خلعت تامار ثياب أرمالها وتغطّت بالخمار، وتقبّت "فرآها يهوذا فحسبها بغياً لأنها كانت مغطية وجهها/ فمال إليها إلى الطريق/ وقال هلمِ ادخل عليك، لأنه لم يعلم أنها كنّته، فقالت ماذا تعطيني حتى تدخل عليّ؟/ قال ابعث بجدي معز من الماشية، قالت أعطني رهناً إلى أن تبعث / قال ما الرهن الذي أعطيكه؟ قالت خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيديك، فأعطاها ودخل عليها فعلقت منه"[٥٠].

بعد مضي أشهر على الحادثة، قيل ليهوذا أن كنّته تامار صارت بغياً، وأنها حامل من البغاء، فقال "اخرجوها فتحرق"![٥١] وعندما أثبتت تامار الخاتم والعمامة والعصا، قال

---

[٥٠] التوراة، سفر التكوين، الفصل ٣٨، الفقرات ١٥-١٩.

[٥١] المصدر نفسه، الفقرة ٢٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يهوذا "هي أبر مني، لأني لم أزوجها لشيلة ابني، ولم يعد أيضا يعرفها"[٥٢].

هكذا ولدت تامار توأمين هما فارص وزارح، وهما ابنا يهوذا من كنته تامار، زوجة ابنه.

(٤) النبي هارون

هارون وموسى، ابنا يوكابد، هما مولودان، على دمة التوراة، من زواج المحارم "فاتخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى"[٥٣]. وفي التيه الصحراوي، تنسب التوراة إلى هارون، أنه هو الذي صنع العجل الذهبي (رمز الإله الكنعاني بعل) ليعبده الناس "وضرب الرب الشعب من أجل أنهم عبدوا العجل الذي صنعه هارون"[٥٤].

---

(٥٢) التوراة، سفر التكوين، الفصل ٣٨، الفقرة ٢٦.

(٥٣) المصدر نفسه، سفر الخروج، الفصل٦، الفقرة ٢٠.

(٥٤) المصدر نفسه، الفصل ٣٢، الفقرة ٣٥.

(٥) النبي داود

فيما كان جيش العبرانيين يقاتل العمونيين ويحاصر ربّة عمون (عمّان)، كان داود يتمشى على سطح بيت المُلك، عندما رأة أوريا الحثّي وهي تستحم. وعلى الفور أرسل رسلاً . فدخلت عليه فدخل بها وتطهرت من نجاستها"![٥٥]

طلب الملك إحضار اوريا من ساح المعركة ثم أعاد صرفه وبيده كتاب يقول "وجّهوا اوريا إلى حيث يكون القتال شديدا وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت"[٥٦].

وحسب الخطة يموت اوريا ويضم داود أرملته إليه! "وساء ما صنعه داود في عيني الرب"[٥٧] ، وخاطبه قائلاً "قد قتلت اوريا الحثي بالسيف، وأخذت زوجته زوجة لك، وإياه قتلت بسيف بني عمون / والآن فلا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، جزاء أنك ازدريتني و أخذت زوجة اوريا الحثي لتكون زوجة

---

[٥٥] التوراة ، سفر الملوك الثاني، الفصل ١١، الفقرتان ٣-٤.

[٥٦] المصدر نفسه، سفر الملوك الثاني، الفصل ١١ ، الفقرة ١٥.

[٥٧] المصدر نفسه، الفقرة ٢٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لك"[٥٨] . وضرب الرب المولود الأول لهما فمات، وحملت بتشابع مرة أخرى "فولدت ابنا فدعاه سليمان واحبه الرب"[٥٩] .

(٦) النبي سليمان

كان للنبي سليمان، كما تقول التوراة، "سبع مئة زوجة، وثلاث مئة سرية، فأزاغت نساؤه قلبه"[٦٠] وتبع سليمان "عشتاروت إلاهة الصيدونيين، وملكوم رجس بني عمون"[٦١] ، وبنى "مشرفاً لكاموش رجس مؤاب في الجبل الذي تجاه اورشليم ولمولك رجس بني عمون"[٦٢] .

---

(٥٨) التوراة، سفر الملوك الثاني، الفصل ١٢، الفقرتان ٩-١٠.

(٥٩) المصدر نفسه، الفقرة ٢٤.

(٦٠) المصدر نفسه، سفر الملوك الثالث، الفصل ١١، الفقرة ٣.

(٦١) المصدر نفسه، الفقرة ٥.

(٦٢) المصدر نفسه، الفقرة ٧.

(٧) النبي إبراهيم

أحيط إبراهيم الخليل، أبو الأنبياء بعد نوح، بهالة من القداسة في فلسطين، بعد ارتحاله من اور في جنوب العراق. إذ باركه ملكي صادق، كاهن القدس، وأوكل له قيادة مهمة حربية. وقدم أبو مالك (ابيملك)، ملك جرار، لإبراهيم "غنما وبقرا وعبيدا واماء"[٦٣]. ورد له امرأته سارة وقال له "هذه بلادي بين يديك فحيثما طاب لك فأقم فيه"[٦٤]. وعندما ماتت سارة، قال بنو حث لإبراهيم "أنت زعيم الله فيما بيننا، في خيار قبورنا ادفن ميتك، فليس أحد منا يمنع منك قبره لتدفن فيه ميتك"، "فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث"[٦٥].

وعندما هاجر إبراهيم إلى مصر، قال لسارة زوجته: "أنا أعلم أنك امرأة جميلة المنظر/ فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك/ فقولي أنك أختي حتى

---

[٦٣] التوراة، سفر التكوين، الفصل ٢٠، الفقرة ١٤.

[٦٤] المصدر نفسه، الفقرة ١٥.

[٦٥] المصدر نفسه، الفصل ٢٣، الفقرتان ٦-٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يحسن إلي بسببك وتحيا نفسي من أجلك"[٦٦] وفعلا رآها رؤساء فرعون "ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيته/ فأحسن إلى إبرام بسببها فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال/ فضرب الرب فرعون وأهله ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبرام/ فاستدعى فرعون ابرام وقال له ماذا صنعت بي؟ لم لم تعلمني أنها امرأتك/ لم قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون لي امرأة؟ والآن ها امرأتك خذها وامض/ وامر فرعون قوما يشيعونه هو وامرأته وكل ماله"[٦٧].

في مقابل هذه الإساءة المثبتة في كتاب اليهود المقدس، لا نجد حدثا واحدا، في التوراة أيضا، يدل على إساءة قدمها سكان كنعان على اختلاف قبائلهم وممالكهم. وهكذا تظهر التوراة "أبو مالك" و"فرعون مصر"، أنهما أكثر حرصا، من رأس النبوة، في رفض الوقوع في خطيئة الزنا بامرأة متزوجة!

---

(٦٦) التوراة، سفر التكوين، الفصل ١٢، الفقرات ١١-١٤.

(٦٧) المصدر نفسه، الفقرات ١٥-٢٠.

(٨) النبي اسحق

النبي اسحق هو الابن الوحيد لإبراهيم الخليل من امرأته العاقر سارة. تأتي ولادته معجزة، ويكرر مع أبي مالك، ملك جرار، قصة ابيه عندما "سأله أهل الموضع عن امرأته، فقال هي أختي،لأنه خاف أن يقول امرأتي لئلا يقتله أهل المكان بسبب رفقه لأنها كانت جميلة المنظر"[٦٨] . ويصدف أن نظر ملك جرار من طاق له "فإذا إسحق يلاعب رفقه امرأته، فقال أبيملك ماذا صنعت بنا لولا قليل لضاجع احد قومنا امرأتك فجلبت علينا إثماً، وامر ابيملك جميع القوم قائلا: من مسّ هذا الرجل أو امرأته يقتل قتلا"[٦٩] .

الوعد الإلهي

يبدأ الوعد الإلهي مع نوح بعد الطوفان "ها أنا مقيم عهدي معكم، ومع نسلكم من بعدكم"[٧٠] ، فيوحي بوهب الأرض، كل

---

[٦٨] التوراة، سفر التكوين، الفصل ٢٦، الفقرة ٧.

[٦٩] المصدر نفسه، الفقرات ٨-١١.

[٧٠] المصدر نفسه، الفصل ٩، الفقرة ٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأرض، إلى نسل نوح الثلاثي، والمفترض أنه سيكون رأس البشرية. وبهذا المعنى لا أفضلية لجهة على أخرى إلا بالتقوى قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم "**وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم**"صدق الله العظيم[٧١] .

ومن التعميم إلى التخصيص، ينتقل الوعد من نوح وذريته، إلى إبراهيم الخليل ونسله، منذ خروجه من العراق وتجوله في أرض غربته "فاجتاز إبرام في الأرض إلى موضع شكيم (سبسطية) وإلى بلوطة مورة (بلاطه)، والكنعانيون حينئذ في الأرض / فتجلى الرب لابرام، وقال لنسلك أعطي هذه الأرض"[٧٢] . وحتى لا تفهم الأرض بأنها المنطقة الواقعة ما بين رام الله ونابلس، أصبحت الصيغة ".. جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد"[٧٣] .

وفجأة تتسع رقعة الوعد لتشمل الامبراطوريات والحضارات التي عاش العبرانيون في كنفها ".. في ذلك اليوم

---

[٧١] القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٤.

[٧٢] التوراة، سفر التكوين، الفصل ١٢، الفقرة ٦-٨.

[٧٣] المصدر نفسه، الفصل ١٣، الفقرة ١٥.

بتّ الرب مع إبرام عهداً قائلا لنسلك اعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"[٧٤].

وتعود رقعة الوعد إلى التقلص بحجم فلسطين، عندما كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، "..جميع أرض كنعان ملكا مؤبداً وأكون لهم إلهاً"[٧٥].

ولأن نسل إبراهيم يشمل إسماعيل بكره واسحق عقبه، حاولت التوراة أن تعطي لإسماعيل وعداً خاصا، وكأنها بذلك تفصله عن الوعد العام، بأخذ حصته مسبقاً "أما اسمعيل فقد سمعت قولك فيه وهاأنذا أباركه وأنميه وأكثره جداً جداً، ويلد اثني عشر رئيساً وأجعله أمة عظيمة"[٧٦].

والمعروف أن إبراهيم الخليل، سابق على ظهور الدين اليهودي، بحوالي خمسمائة سنة، عندها يصدق تماماً قول الله تعالى: "**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين**

---

(٧٤) التوراة، سفر التكوين، الفصل ١٥، الفقرة ١٨.

(٧٥) المصدر نفسه، الفصل ١٧، الفقرة ٨.

(٧٦) المصدر نفسه، الفقرة ٢٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين" صدق الله العظيم[٧٧] .

ظاهرة الاصطفاء، بروحية التدين، موجودة في اليهودية والإسلام. ولكنها، على الدوام، ليست ظاهرة عرقية. ففي حديث شريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم"[٧٨] .

وفي اليهودية، أن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسحق، ومن ولد اسحق يعقوب، ومن ولد يعقوب يهوذا، ومن يهوذا آل عمران، ومن آل عمران النبي موسى.

والسؤال المنطقي لماذا فلسطين دون سواها؟! مع أن العبرانيين عراقيو الأصل، مصريو الاستيطان (٤٣٠سنة)؟! وإذا صح نسبهم، كأصول، إلى قبيلة الازد القحطانية، فيكونون من أصل يمني هاجر إلى عُمان ومنها إلى جنوب العراق، في

---

[٧٧] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيتان ٦٧و٦٨.

[٧٨] ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج١، ص٢٠.

الموجة الأكادية. وإذا كانوا مجرد قبيلة من قبائل الأموريين (العموريين) التي استوطنت جنوب العراق، وغادرت عادة السطو والإغارة، فالأولى بها أن تتسم بنزوع خاص نحو نقطة استقرارها. ورغم أن الارتباط بالعراق، ظل ظاهراً، عند إبراهيم الخليل واسحق ويعقوب، إلا أنه أخذ يتحول، منذ ارتحالهم إلى مصر، للارتباط بالأسر الفرعونية

وارتباطا بالسؤال الأول، أثيرت إشكالية حول مصادر معرفة العبرانيين بفلسطين، بعد عشرين جيل ولدوا وعاشوا على أرض مصر، وفي أخصب بقاعها (الدلتا). وبالفحص التوراتي والتاريخي تكون مصادر معرفة العبرانيين منحصرة في المصادر التالية:

- الخبرة الشفوية المتوارثة عن جيل الآباء، إبراهيم الخليل واسحق ويعقوب والأسباط، والتي شمل تنقلها غالبية مناطق فلسطين.
- المصادر المصرية التي وثّقت بعض الزيارات، والمعارك، بما فيها غنائم الحرب. ففي الألف الثاني قبل الميلاد، زار فلسطين، أحد كبار حاشية سنوسرت الأول (١٩٧١-١٩٢٨ق.م) المسمى سينوهي، ووصف أرض كنعان

مكتبة المهتدين الإسلامية

بأنها "ارض جيدة وواسعة، أرض تفيض لبنــــا وعســـلا، أرض حنطة وشعير وكروم تين ورمان، أرض زيتـــون وعســـل"[٧٩]، "وأن فيها تينا وعنبا، وأن خمرها أغزر مـــن المــاء، وعســلها كثير، وزيتونها وفير، وكل ما تشتهيه من أنواع الفواكه تجود بــه الأشجار"[٨٠]. كما اشتملت سجلات معركة مجدو (١٤٧٩ق.م) التي انتصر بها تحتمـــس الثـــالث (١٥٠٤-١٤٥٠ق.م) علـــى الممالك الكنعانية، أنه أخذ أبناء الأمراء الفلسطينيين إلى مصر، في حملته السادسة، وعددهم ستة وثلاثين رجلا "تربـــوا علـــى مائدة فرعون"[٨١]، حيث كـــان يعيـش موســى فـــي البـــلاط الفرعوني. ونجد في قوائـــم غنـــائم المعركـــة "ذكـــر عجلتيـــن مصفحتين بالذهب والفضة، وتسع عشرة عجلة مصفحة بالفضـــة، وعجلات محلاة بالذهب والفضة الملونة، وكان ذلك ثراء فـــوق مستوى الثراء الذي عهده المصريون، وكان أيضا فنـــا جديـــدا عليهم. بل أننا نستطيع أن نلمس في الكؤوس والأواني الذهبية

---

[٧٩] د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، بغداد، ط٥، ١٩٨١، ص ١٣٧-١٣٩.

[٨٠] رجا جارودي، مرجع سابق، ص ٧٥.

[٨١] الموسوعة الفلسطينية، ج١، ص٥١٣.

والفضية حضارة شعوب في مستوى الشعب المصري إن لم تتفوق عليه. وقد اتصلت مصر بأسباب هذه الحضارة عن طريق الأسرى والسبايا الذين كانوا من الصناع والعمال"[٨٢].

- الخبرة المباشرة للنبي موسى، في مرحلة الإقامة في مدين. حيث ثبت أن مدين هذه، لم تبق محصورة في الجنوب الفلسطيني والأردني، ولم تشكل مظلة أكبر على المؤابيين والأدوميين، وإنما كانت تتمدد أحيانا، من الجنوب إلى الشمال، لتصل إلى الغور الشمالي لفلسطين والأردن، وخاصة منطقة بيسان وجبل تابور.

- ما جاء في التوراة، في سفر تثنية الاشتراع، من أوصاف على لسان الله "فإذا أدخلك الرب، مدنا عظيمة حسنة لم تبنها، بيوتا مملوءة كل خير لم تملأها، صهاريج محفورة لم تحفرها، كروما وزيتونا لم تغرسها"[٨٣]، ثم تضيف "وان الرب الهك مدخلك أرضا صالحة، ذات أنهار وماء وعيون وغمار،

---

[٨٢] د. نجيب ميخائيل إبراهيم، محيط الفنون، دار المعارف، القاهرة، ص ٤٢.

[٨٣] التوراة، سفر تثنية الاشتراع، الفصل ٦، الفقرات ١٠-١٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تتفجر في غورها ونجدها، أرض حنطة وشعير، وكـــرم وتيـــن ورمان، أرض زيت وعسل، أرض لا تأكل فيها خبزك بتقتـــير، ولا يعوزك فيها شيء، أرض حجارتها الحديـــد، ومـــن جبالـــها تقطع النحاس"[٨٤].

بكل هذه الحقائق، لم يكن العبرانيون بحاجة لأن يجســوا الأرض التي يعرفونها بأكثر من مصدر ودليل.

برية فاران

حرص كتبة النص التوراتي، على مواصلة إعادة النظر فـــي الأسفار قبيل ظهور الإسلام وبعد ظهوره وانتشاره، بهدف حذف أو تعديل الإشارات الدالة على مكة المكرمة، باسمها القديم "برية فاران". وما بقي، على قلته، يكفي لإيجاد دلالـــة قاطعـــة، ذات مغزى، لا يروق للذين يعتقدون زورا أن العالم يقوم على ديـــن واحد، هو الدين اليهودي.

---

[٨٤] التوراة، سفر تثنية الاشتراع، الفصل٨، الفقرات ٧-١٠.

الإشارة الأولى، تبدأ بهجرة النبي إسماعيل مع أمه وهو طفل، "وكان الله مع الغلام" الذي "أقام ببرية فاران واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر"[٨٥]. ويعاود المكان ظهوره في تيه الصحراء "فرحل بنو إسرائيل في مراحلهم من برية سيناء، وحلّ الغمام في برية فاران"[٨٦]. وعندما أراد النبي موسى جسّ ارض كنعان بعث برسله وهو في "برية فاران"[٨٧]، وظل ينتظرهم هناك، هو وهارون "وكل جماعة بني إسرائيل"[٨٨].

يظهر المكان، لمرة واحدة، كنبوءة، في سفر تثنية الاشتراع، حيث يقول النص" أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران"[٨٩].

وعندما مات صموئيل، وفيما كانت الأسباط تنوح عليه وتبكيه "قام داود ونزل إلى برية فاران"[٩٠].

---

(٨٥) التوراة، سفر التكوين، الفصل ٢١، الفقرة ٢١.

(٨٦) المصدر نفسه، سفر العدد، الفصل ١٠، الفقرة ١٢

(٨٧) المصدر نفسه، الفصل ١٣، الفقرة ٤.

(٨٨) المصدر نفسه، الفقرة ٢٧.

(٨٩) المصدر نفسه، سفر تثنية الاشتراع، الفصل ٣٣، الفقرة ٢.

(٩٠) التوراة، سفر الملوك الأول، الفصل ٢٥، الفقرة ١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هكذا تظهر بريّة فاران، كمكان استقرار للنبي إسماعيل، وكملجأ مؤقت للنبيين موسى وهارون، وكنبوءة لظهور دين جديد، وكمأوى آمن للنبي داود. ليس هذا فقط، إذ يرى بعض الأحبار، أن اسم النبي محمد، بتعبيره الصريح، كان موجوداً في التوراة، وتم استبداله بلفظي "بمادماد" و"لجوي جدول" "ليعرفه العلماء وحدهم إذا ظهر ويكونون في حل من انكاره إذا أرادوا"[٩١]. وبحساب الجُمل، فإن عدد حروف اسم النبي محمد، مساو لعدد حروف "بمادماد" و"لجوي جدول" وهو رقم ٩٢.

وفي هذا السياق، يضيف العلماء وصية النبي يعقوب (إسرائيل) إلى بنيه وهو على فراش الموت "لا يزول صولجان من يهوذا، ومشترع من صلبه، حتى يأتي شيلُو، وله يكون خضوع شعوب"[٩٢]، بأنها دلالة إلى نبي الأمان (شيلُو) النبي الخاتم.

---

[٩١] د. أحمد حجازي السقا: نبوءة محمد في الكتاب المقدس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٨، ص٣٣.

[٩٢] التوراة، سفر التكوين، الفصل ٤٩، الفقرة ١٠.

ذلك أن النبوءة لا تنطبق على السيد المسيح، الذي لم تخضع له الشعوب في حياته، بل ولم يقم كيانا سياسياً خاصاً. بل أن السيد المسيح نفسه، في حواره مع المرأة السامرية التي أكدت سجود الآباء في جبل جرزيم بنابلس، مستغربة أن يدعو المسيح إلى السجود في أورشليم مع أنه نبي، فقال لها يسوع "آمني بي أيتها المرأة إنها تأتي ساعة تسجدون فيها للآب لا في هذا الجبل ولا في أورشليم"[٩٣]. وهي إشارة تحققت بالإسلام الذي حوّل القبلة إلى مكة المكرمة. ثم يؤكد السيد المسيح مقولته بصيغة أخرى عندما يقول "الحق أقول لكم أنه خير لكم أن أنطلق لأنه إذا لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي"[٩٤].

---

[٩٣] انجيل يوحنا، الفصل٤، الفقرة ٢١، (الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٧١، ص ١٥١جـ).

[٩٤] المصدر نفسه، االفصل ١٦، الفقرة ٧، (العهد الجديد والمزامير، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٣٢).

مكتبة المهتدين الإسلامية

بلعام بن بعور

بعد تجاوز الاصطدام الأول مع الأدوميين، الذين رفضوا مرور القبائل العبرانية في أراضيهم، يقول كتبة التوراة، إن الاصطدام الأول كان مع سيحون، ملك الأموريين، ولذلك "ضربُه إسرائيلُ بحدّ السيفِ وورثُوا أرضهُ من أرنُون إلى يبُّوق إلى بني عمُّون، لأَّن تخم بني عمون كانَ منيعاً"[٩٥].

ثم تحولوا إلى ملك باشان، الملك عوج وعاصمته ادرعي و"ضربوه هو وجميع قومه حتى لم يبق له شريد وورثوا أرضه"[٩٦]. وبعدها "ارتحل بنو إسرائيل فنزلوا صحراء مؤاب التي على عبر أردن أريحا"[٩٧].

هكذا يروي النص حروب بني إسرائيل مع الأموريين ومملكة باشان قبل محاصرة مؤاب. ولكنه عندما يذكر مدن الأموريين الواقعة في قبضتهم ، نجده يسمي حشبون (حسبان)

---

[٩٥] التوراة، سفر العدد، الفصل ٢١، الفقرة ٢٤.

[٩٦] المصدر نفسه، الفقرة ٣٥.

[٩٧] المصدر نفسه، الفصل ٢٢، الفقرة١.

وديبون (ذيبان) وميدبا (مادبا)، وهي جميعها مدن مؤابية وليست أمورية، لذلك يستدرك الراوي ويقول أن سيحون ملك الأموريين، سبق وأن حارب مؤاب وانتزع مدنها!! ثم ينسخ سفر تثنية الاشتراع ما جاء في سفر العدد، فيقوم بتحريم معاداة المؤابيين والعمونيين والأدوميين، ويوزع بني عمون والمؤابيين على بني لوط ميراثا، استناداً إلى تلفيقة زنا المحارم بين لوط وابنتيه!

تبدأ القصة بأن يتفق ملك مؤاب بالاق بن صفور مع شيوخ مدين على استدعاء النبي بلعام بن بعور ليقوم بلعن الإسرائيليين "لأني أعلم أن من تباركه يكون مباركاً ومن تلعنه يكون ملعوناً"[(٩٨)] وعندما تم حضوره، وبين تقديمه الأضحيات لله قال "كيف ألعن من لم يلعنه الله؟ وكيف اشتم من لم يشتمه الرب؟!"[(٩٩)]. وفسّر أقواله بأن ملاك الله حال بينه وبين لعن العبرانيين.

إلى هنا وتختفي قصة بالاق وبلعام بن بعور النبي القادم للتجربة، وكأن كل طرف استمرأ ما هو فيه، بشيء من الهدنة غير المكتوبة حتى تنقلب المعاداة فجأة من مؤاب إلى مدين،

---

(٩٨) التوراة، سفر العدد، الفصل ٢٢، الفقرة ٦.

(٩٩) المصدر نفسه، الفصل ٢٣، الفقرة ٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والهدف إبادة وقتل مدين وقتل نبيها الثاني بعد النبي شـعيب. إذ بعد قتل ملوك مدين "وبلعام بـن بعـور قتلـوه بالسـيف"[١٠٠]، والسؤال المنطقي لماذا قتل العبرانيون النبي بلعام وهـو الـذي رفض لعنهم وقام بمباركتهم؟!؟

أنساب وحروب في الأردن

ما تكاد تمحي حلقـة التيـه الصحـراوي حتـى يسـتعير العبرانيون من كاهن مدين خبرتهم التنظيمية، في تقسيم القضـاء إلى ما هو رئيس والحاقه بالنبي موسى، وإلى مـا هـو ثـانوي وإلحاقه برؤساء العشرة والخمسين والمئة والألف. وهكذا مـزج النبي شعيب (كاهن مدين) بين الهيكلية العسـكرية والقضائيـة. بعدها يتفرغ موسى، لتلقي التشريع الديني فـي أحكـام تحريـر العبيد، وعقوبات القتل، وايام الأعيـاد والتقدمـات ومواصفـات المعبد، تمهيدا لتجريد حملة مفاجئة على مدين بعد أن يختفـي أي ذكر للنبي شعيب.

---

(١٠٠) التوراة، سفر العدد، الفصل ٣١، الفقرة ٨.

إثنا عشر ألف متجرد للحرب ينضوون تحت حملة الأسباط على المدينين، قتلوا كل ذكر، وخمسة ملوك، وكل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل وسبوا" اثنين وثلاثين ألف امرأة لم تعرف مضاجعة الرجال، وستمائة وخمسة وسبعين ألف رأس غنم، وستين ألف حمار، واثنين وسبعين ألف رأس بقر"[١٠١].

يسعى سفر تثنية الاشتراع، الذي هو إعلان ثان للشريعة، صيغ تحت وطأة تدمير مملكة إسرائيل في الشمال، والتجاء الأحبار إلى القدس، وأعيد النظر فيه في السبي البابلي تحت وطأة الهزيمة الجديدة لمملكة يهوذا. ويسعى السفر إلى ربط جميع ممالك وقبائل وحضارات الأردن، بنسل إبراهيم مباشرة، لتبيان صلة القربى مع موسى، بصيغة ينقصها التعليل والبرهان وتمتلىء بالمتناقضات.

يبدأ التناقض في زوجات عيسو، المرتحل عن كنعان والساكن في أدوم، وهو ما تطلق عليه التوراة "أبو الأدوميون"! فلما صار عيسو ابن أربعين سنة "اتخذ يهوديت بنت بئيري

---

[١٠١] التوراة، سفر العدد، الفصل ٣١، الفقرات ٧-٢٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحثي، وبسمه بنت أيلون الحثي، امرأتين له، فكانتا مرارة نفس لاسحق ورفقه"[١٠٢].

يلاحظ أن اسم يهوديت المنسوب إلى الحثيين هو اول اسم بالتوراة يوحي باليهودية، وينتسب إلى احدى القبائل الكنعانية. لكن التوراة، تعود فتلغي ما كتبته في السفر نفسه، عندما تقول "اتخذ عيسو نساءه من بنات كنعان، عارة بنت أيلون الحثي، وأهليبامة بنت عانة بن صبعون الحوي، وبسمة بنت اسمعيل أخت نبايوت"[١٠٣].

وبالقدر ذاته من الالتباس تقول التوراة أن بني سعير هم سكان الأرض، وموقعهم في إيله وعصيون جابر، وأن عيسو ونسله سكنوا في وسط الحوريين وسادوا عليهم، "فطردوهم من بين أيديهم وأقاموا مكانهم"[١٠٤]. ويصطدم هذا الادعاء بحقيقة أن الحوريين، هم ورثة الدولة البابلية، حيث أسسوا مملكة الميتاني في العراق الأعلى حوالي (١٥٠٠ ق.م)، ومدوا نفوذهم إلى فلسطين فدانت لهم لعشر سنوات.

---

[١٠٢] التوراة، سفر التكوين، الفصل ٢٦، الفقرات ٣٤-٣٥.

[١٠٣] المصدر نفسه، الفصل ٣٦، الفقرة ٢-٤.

[١٠٤] المصدر نفسه، سفر تثنية الاشتراع، الفصل٢، الفقرة ١٢.

أما طردهم فتم على يد فرعون مصر، تحتمس الثالث والذي وصل إلى نهر الفرات، وحصر مملكة الميتاني في حدود ضيقة، وألحق فلسطين بمصر، وغدت مقاطعة مصرية.

الوجود العبراني في عهد يوشع

اتسمت مرحلة قيادة يوشع بن نون، على امتداد خمسة وعشرين سنة، منذ دخوله أريحا وحتى مماته، بدمج مفهوم النبي بالقائد العسكري الموحى إليه، أي بدمج السلطة المدنية، ذات الطابع العسكري، بالسلطة الدينية. واعتمد في إنجاز ذلك، على مؤازرة كالب بن يفنا والأسباط ومباركة الكاهن اليعازر،الناطق باسم آل هارون.

ورغم ضجيج المعارك، وتتالي المعجزات والخوارق، فإن يوشع لم ينجح في إقامة ما يصبوا إليه، ونجح في إقامة ممرات من الأراضي بين أريحا وبيت إيل وعقرون وشكيم وبئر السبع، هي أشبه ما تكون بجزر عصابية في محيط كنعاني حاشد. وهي الأرض التي وزعها على سبطين ونصف من الأسباط التسعة ونصف الباقية. ودعا الأسباط الأخرى (سبع أسباط) إلى

مكتبة المهتدين الإسلامية

انتزاع ما يخصها من قرعة التقسيم، بالقوة العسكرية، من السكان الأصليين[١٠٥].

[١٠٥] في عهد النبي موسى، قسمت أراضي شرق الأردن، على ذمة التوراة، بين سبطي بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط بني يوسف (سبط منسي). وبتعابير معاصرة نال بنو رأوبين المنطقة الممتدة من جنوب عمان إلى سهول مادبا والاتجاه غربا حتى محاذاة نهر الأردن والبحر الميت. ونال بنو جاد كل مدن جلعاد مع ممر ضيق إلى البحر الميت. ونال سبط منسي شمال الأردن حتى درعا!

وفي عهد يوشع، نال بنو يهوذا، المنطقة الأدومية صعودا إلى مناطق تحيط بالخليل والقدس مع ممر إلى البحر المتوسط شمال أشدود. ونال بنو افرائيم (فرع بني يوسف) أريحا مع ممر باتجاه البحر حتى بيت حورون. واعطي كالب بن يفنا مدينة حبرون (الخليل) وبلدة أربع.

كما وزع يوشع بقية المناطق غير المحتلة على الأسباط السبعة ودعاها لاحتلالها وهي على ذمة التوراة مرة أخرى: بنو بنيامين (٢٦ مدينة وقراها)، بنو شمعون (١٧ مدينة وقراها)، بنو زبولون (١٢ مدينة وقراها)، بنو يساكر (١٦ مدينة وقراها)، بنو أشير (٢٢ مدينة وقراها)، بنو نفتالي (١٩ مدينة وقراها)، بنو دان (١٨ مدينة وقراها).

وهكذا باعتراف التوراة، تكون ١٤٠ مدينة مع القرى التابعة لها، خارج قبضة يوشع بن نون.

ويستعير كتبة نص سفر يوشع، معجزات النبي موسى، ويضيفون لها بعض الخوارق، لإضفاء طابع من الطقوس على المسيرة الحربية. إذ يستعيرون حادثة وقف الماء في بحر القلزم (البحر الأحمر) ويطبقونها على نهر الأردن للوصول إلى اريحا. إذ أن مياه نهر الأردن "تنفلق والمياه المنحدرة من فوق تقف ندا واحدا[١٠٦]. "فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليبس في وسط الأردن راسخين وكل إسرائيل عابرون على اليبس حتى فرغ الشعب كله من عبور الأردن"[١٠٧] "وكانوا نحو أربعين ألف متجردين للحرب عبروا قدام الرب للقتال إلى صحراء أريحا"[١٠٨].

وتحققت المعجزة الثانية في معارك يوشع ضد ملوك الأموريين حيث وقفت "الشمس في كبد السماء ولم تمل للمغيب مدة يوم كامل"[١٠٩].

---

[١٠٦] التوراة، سفر يوشع، الفصل ٣، الفقرة ١٣.

[١٠٧] المصدر نفسه، الفقرة ١٧.

[١٠٨] المصدر نفسه، الفصل ٤، الفقرة ١٣.

[١٠٩] المصدر نفسه، الفصل ١٠، الفقرة ١٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكان "الذين هلكوا بحجارة البرد أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف"[١١٠] ، وفي موقع آخر يعود الفضل إلى الزنابير التي أرسلها الله "ارسلت قدامكم الزنابير فطردت ملكي الأموريين من وجهكم، لا بسيفكم ولا بقوسكم"[١١١].

وبتعابير طقوسية غامضة، تبدأ معركة أريحا، وتقودها حجارة من نهر الأردن أخذت من تحت أخامص أقدام الكهنة، وقرع الطبول. ولا تبرز في هذا المهرجان بهيئة بشرية سوى رحاب البغي، وليس صدفة إلا يجد يوشع من يتعامل معه من سكان أريحا سوى عاهرة! والغريب ألا يجد ما يقدمه لسكان المدينة من النموذج التوحيدي، سوى حماية العاهرة وأهل بيتها! فالأوامر:

- أبسلوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف[١١٢].

---

(١١٠) التوراة، سفر يوشع، الفصل١٠، الفقرة ١١.

(١١١) المصدر نفسه، الفصل٢٤، الفقرة ١٢.

(١١٢) المصدر نفسه، الفصل السادس، الفقرة ٢١.

- احرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد[١١٣].

ومما سرقه عاكان بن كرمي من سبط يهوذا، اعترف أنه سرق "رداء بابلياً حسناً ومئتي متقال فضة وسبيكة من ذهب وزنها خمسون متقالاً"[١١٤].

في معركة العي (التل)، المعركة الثانية بعد أريحا، وبعد أن يذكر السفر قلة عدد سكان البلدة، إلا أنهم ينتصرون على العبرانيين، فيمزق يوشع ثيابه ويسقط على وجهه مستتجداً بالرب. ويكتشف أن سرقة عاكان هي السبب، فيأخذ عاكان والفضة والرداء وسبيكة الذهب و "بنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخبائه وسائر ماله"، ووضعوهم في وادي عكور، قرب أريحا، ورجموهم بالحجارة ثم "أحرقوهم بالنار"[١١٥] فتزول الغمة وينتصر الإسرائيليون "وكان جملة من قتل في ذلك اليوم

(١١٣) التوراة، سفر يوشع، الفصل ٦، الفقرة ٢٤.

(١١٤) المصدر نفسه، الفصل ٧، الفقرة ٢١.

(١١٥) المصدر، الفصل ٧، الفقرة ٢٤-٢٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

من رجل وامرأة اثني عشر ألفا جميع أهل العي"[١١٦]، وحينئذ "ابتنى يوشع مذبحا للرب إله إسرائيل في جبل عيبال"[١١٧].

يسقط كتبه النص في تناقضات وأقوال عجيبة. فعند التحضير لمعركة العي يذكرون أن أهلها قلائل، وعندما ينتصرون يصل عدد القتلى إلى ١٢ ألفاً! ثم ما ذنب أبناء وبنات عاكان وما له من حمير وغنم وبقر حتى يحرقون جميعاً في وادي عكور، وآية شريعة هي التي تبيح معاقبة الأبناء بذنب الآباء؟!ثم يصف السفر المعارك اللاحقة، ويذكر أن يوشع قتل واحد وثلاثين ملكاً[١١٨]، ومع ذلك يعترف النص:

- أما اليبوسيون، سكان أورشليم، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم[١١٩].
- ولم يطردوا الكنعانيين المقيمين بجازر[١٢٠].

---

[١١٦] المصدر نفسه، الفصل ٨، الفقرة ٢٥.

[١١٧] المصدر نفسه، الفقرة ٣٠.

[١١٨] التوراة، سفر يوشع، الفصل ١٢، الفقرة ٩-٢٤.

[١١٩] المصدر نفسه، الفصل ١٥، الفقرة ٦٣.

[١٢٠] المصدر نفسه، الفصل ١٦، الفقرة ١٠.

- وأن سكان بيسان "مراكب حديد" وأن توابع المدينة تصل سهل يزرع-ايل (مرج ابن عامر)[١٢١] .

القضاة ومشروع المجتمع الاستيطاني

طغت الأسطورة الدينية على عصر القضاة، من القاضي الأول خليفة يوشع (يهوذا) إلى القاضي الرابع عشر والأخير (شمشون بن منوح). فالانتصار يصنعه على الدوام التدخل الإلهي، والانكسار هو لعنة الله، نتيجة انحراف ما، يطبقه بأيدي قبائل الكنعانيين وعشائرهم. وتحتل ظاهرة الارتداد عن الوحدانية، وبصورة دورية متعاقبة، المكانة المركزية في جوهر العقوبة وفي التصحيح اللاحق على يد كاهن جديد.

وشمل حقل القضاة نماذج متبانية، من دبوّرة النبية إلى جدعون المتعاقد مع ملاك الرب، إلى شمشون المولود بمعجزة من أم عاقر، إلى قاطع الطريق يفتاح الجلعادي، ابن امرأة بغي "وحمو ابن امرأة بغي ولدته لجلعاد"[١٢٢]. وقام بعض القضاة ببطولات أسطورية كالقاضي الرابع (شمجر بن عنات) الذي قتل

---

[١٢١] المصدر نفسه، الفصل ١٧، الفقرة ١٦.

[١٢٢] التوراة، سفر القضاة، الفصل ١١، الفقرة ١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

"من أهل فلسطين ست مئة بمنساس البقر" [١٢٣] والقاضي الأخير (شمشون بن منوح) الذي قتل الف رجل "بفك حمار"[١٢٤] !

ورغم ما هو معروف بأن القدس لم تسقط في حرب مع العبرانيين في كافة مراحل وجودهم في فلسطين، وأنها سالمت النبي داود وأقام خارجها في جبل صهيون (جبل المكبر)، ينسب السفر إلى بني يهوذا أنهم احتلوها "أورشليم فأخذوها وضربوها بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار"[١٢٥] وعند ذكر قصة الرجل اللاوي، ينسى كتبة النص ما قالوه، فيؤكدون أنه رفض الإقامة في يبوس لأنه "لا نميل إلى مدينة غريبة ليس فيها أحد من بني إسرائيل"[١٢٦].

وبالمقياس ذاته، تشن الحروب الوهمية على غزة وعسقلان وعقرون، ومع المدينيين في منطقة الغور الشمالي الفلسطيني.

---

[١٢٣] التوراة، سفر القضاة، الفصل ٣ ، الفقرة ٣١.

[١٢٤] المصدر نفسه، الفصل ١٥، الفقرة ١٦.

[١٢٥] المصدر نفسه، الفصل ١، الفقرة ٨.

[١٢٦] المصدر نفسه، الفصل ١٩، الفقرة ١٢.

ولفرط الإدعاءات الوهمية، يعود كتبة النص إلى الواقع، ويحاولون تمويهه بسيل من الافتراضات المربكة.

فحين يقولون:

"أقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين/واتخذوا بناتهم زوجات لهم وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم"[١٢٧].فإنهم يعكسون حقيقة الوجود العبراني حتى تلك الفترة، وهو مجرد جزر سكانية معزولة في محيط كنعاني عام، ظل هو المهيمن على طابع البلد.

وإذا أضفنا لهذا الاعتراف، قولا آخر، وأخذناه على محمل الجد، فأن كل الإدعاءات الأخرى تسقط . إذ يقول السفر على لسان الله: "فلا أعود أنا أيضا أطرد أحدا من أمامها من الأمم التي تركها يوشع عند وفاته"[١٢٨].

---

[١٢٧] التوراة، سفر القضاة، الفصل ٣، الفقرة ٦-٧.

[١٢٨] المصدر نفسه، الفصل ٢، الفقرة ٢١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وطالما أن ما أمتلك في عهد يوشع لا يزيد عن ممرات، تشبه الكمائن العصابية، فمن الطبيعي، أن تظل فلسطين على طابعها، وأن تسعى هذه الكمائن، والجزر اللاحقة، إلى تقليد السكان الكنعانيين، حتى في عبادتهم الوثنية. وهذا السر، هو الذي يفضح التعلق العبراني بعبادة الآله بعل الكنعاني وزوجته عشتار، أو عشيره، أو عشتاروت. بل وأن يمتدوا في عبادتهم الوثنية إلى آلهة الأقوام المجاورة.

- .. ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم[١٢٩].
- .. وعبدوا البعل والعشتاروت[١٣٠].
- وتعبّد بنو إسرائيل لعجلون ملك مؤاب ثماني عشرة سنة[١٣١].
- وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة مؤاب

---

(١٢٩) التوراة، سفر القضاة، الفصل الثاني ، الفقرة ١١.

(١٣٠) المصدر نفسه، الفصل ٣، الفقرة ٧.

(١٣١) المصدر نفسه، الفصل ٣، الفقرة ١٤.

وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه[١٣٢].

ومن بين أشكال العقوبة على هذا الارتداد، خضوع العبرانيين لمن جاورهم، ولنقرأ هذا الرقم ودلالته بحساب السنين:

- فباعهم الرب إلى يابين ملك كنعان الذي كان ملكا بحاصور[١٣٣].
- وصنع بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب إلى أيدي مدين سبع سنين[١٣٤].
- فاشتد غضب الرب على إسرائيل فباعهم إلى ايدي الفلسطينيين وإلى أيدي بني عمون لمدة ثماني عشرة سنة[١٣٥].

---

[١٣٢] التوراة، سفر القضاة، الفصل ١٠، الفقرة ٦.

[١٣٣] المصدر نفسه، الفصل ٤، الفقرة ٢.

[١٣٤] المصدر نفسه، الفصل ٦، الفقرة ١.

[١٣٥] المصدر نفسه، الفصل ١٠، الفقرات ٧-٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- وعاد بنو إسرائيل فعملوا الشر في عيني الرب فدفعهم الرب إلى أيدي الفلسطينيين أربعين سنة[١٣٦].ترى ما الذي بقي للقضاة، من فترة زمنية، لفرض سيطرتهم على الأرض؟!.
ولذلك نجدهم يقرون بشراكة الوجود، بصيغ صريحة دون التواء:
- منسي لم يطردوا أهل بيت شان وتوابعها وتعناك وتوابعها ودور وتوابعها ويبلعام وتوابعها ومجدو وتوابعها فعول الكنعانيون أن يستقروا في تلك الأرض[١٣٧].
- افرائيم لم يطردوا الكنعانيين المقيمين بجازر فبقي الكنعانيون فيما بينهم[١٣٨].
- وزبولون لم يطردوا سكان قطرون ونهلول فبقي الكنعانيون فيما بينهم[١٣٩].
- ونفتالي لم يطردوا أهل بيت شمس وبيت عنات ولكن أقاموا

---

(١٣٦) التوراة، سفر القضاة، الفصل ١٣، الفقرة ١.

(١٣٧) المصدر نفسه، الفصل ١، الفقرة ٢٧.

(١٣٨) المصدر نفسه، الفقرة ٢٩.

(١٣٩) المصدر نفسه، الفصل ١٠ ، الفقرة ٣٠.

بين الكنعانيين أهل الأرض[١٤٠].

وعلى العموم، فإن جميع حروب مرحلة القضاة غلب عليها الطابع الوهمي، تماما كما صيغت بطولات معركتي أريحا والعاي في سفر يوشع. فالأب دوفو، المختص بدراسة تاريخ إسرائيل القديمة، قال أن العبرانيين "لم يستطيعوا الاستيلاء على اريحا، لأنها كانت حينئذ قد هجرت"[١٤١] ولعل مضمون اللعنة "ملعون لدى الرب الرجلالذي ينهض ويبني هذه المدينة أريحا ببكره يؤسسها وبأصغر بنيه ينصب أبوابها"[١٤٢] يشير إلى تدمير المدينة السابقة. أما قصة الإستيلاء على عاي وقتل سكانها وحرقها، فقد "كذبها علماء الآثار، فعندما وصل الإسرائيليون لم يكن هناك مدينة في عاي، بل كانت أنقاض مدينة قديمة منذ ألف ومائتي سنة"[١٤٣].ورغم اللعنة، نجح القضاة في إعادة بناء مدينة أريحا و"نهض عجلون، ملك المؤابيين، في عصر القضاة

---

[١٤٠] التوراة، سفر القضاة، الفصل ١ ، الفقرة ٣٣.

[١٤١] رجا جارودي، مرجع سابق، ص ٦٨ عن الأب دوفو تاريخ إسرائيل القديم، ص٥٦٢.

[١٤٢] التوراة، سفر يوشع، الفصل ٦، الفقرة ٢٦.

[١٤٣] جارودي، مرجع سابق، ص ٦٩ عن دوفو ص ٥٦٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(١١٧٠-١٠٣٠ ق.م) وأخرج اليهود" من اريحا واتخذها عاصمة له"[١٤٤].

مملكتا الشمال والجنوب خاتمة النهاية

لم ينقطع التاريخ الكنعاني في فلسطين على امتداد الغزوة العبرانية منذ حملة يوشع بن نون وحتى سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا. فإذا اتسمت مرحلة يوشع بزرع ممرات عبرانية تشبه كمائن العصابات، فإن مرحلة القضاة لم تضف لهذه الممرات سوى مجموعة صغيرة من الجزر السكانية في محيط كنعاني شامل.

وعند بزوغ فجر الملكية العبرانية على يد شاول. لم يضف لهذا الواقع أكثر من محاولات ربط الممرات بالجزر، مع صنع هزيمة ساحقة أمام الفلسطينيين في معركة جلبوع، وضعت حدا لحياته. ونهض الملك داود، بهذا الأرث الممزق، واستطاع جمعه، مما مكنه من فرض هيمنة سياسية عامة، كانت ركيزة حكم ابنه من بعده، الملك سليمان.

---

[١٤٤] الموسوعة الفلسطينية، ج١، ص ١٩٤.

وأضاف سليمان الحكيم لكل ذلك، ورغم أنه لم يحارب، امتداداً كبيراً نسبياً، في بسط نظام السيطرة السياسية داخل فلسطين وخارجها.

وفي كل هذا التاريخ، من يوشع إلى سليمان، من (١١٩٥-٩٢٣ ق.م)، بقي الطابع الكنعاني، على اختلاف عشائره وتسمياته، يطغى على مدن عكا ويافا واسدود وعسقلان وآرسوف وغزة على الساحل الفلسطيني، وعلى مدن اللد والقدس والخليل وشاروهين في الوسط والنقب، وعلى مدينة بيسان في الغور الشمالي الفلسطيني. واقتبس العبرانيون من الكنعانيين اللغة وأساليب الزراعة وعادات السكن الحضري في المدن، بعد أن تخلصوا من الطابع البدوي المتنقل والمعتمد على الرعي أو اكتساب الرزق من الغزو والسلب.

وعند إنقسام الوجود العبراني إلى مملكتين، بعد موت سليمان، مملكة إسرائيل في الشمال (٩٣٥-٧٢٢ق.م) ومملكة يهوذا في الجنوب (٩٣٥-٥٨٦ ق.م)، عاش ملوك الشمال (١٩ ملكا) وملوك الجنوب (٢٠ ملكا) تجربة أسلافهم في مفهوم

مكتبة المهتدين الإسلامية

الجزر السكانية ونظام الهيمنة السياسية، وأخذوا يدخلون، لأول مرة، لعبة التحالفات المتغيرة، بين فرقاء الصراع، وكأنهم جزء من المنطقة، ورغم أن طابع الكراهية ضدهم، هو القاسم المشترك بين جميع ممالك وحضارات بلاد الشام الطبيعية، إلا انهم استطاعوا أن يجدوا هامشا من المناورة بين صراع النفوذ العراقي والمصري على فلسطين ولبنان وسوريا، وأن يتسللوا من ثغرات الخلاف عند العمونيين والمؤابيين والمدينيين والأدوميين والآراميين، لعقد تحالفات مع طرف ضد آخر، وإعادة استبدال الطرف الحليف بحليف جديد.

وفي المقابل خضعوا لدورات من الإذعان للأشوريين والبابليين والآراميين والعمونيين والمؤابين والأدوميين والمدينيين والمصريين.

ولا يعزى سر فشل القبائل العبرانية في فرض طابعها، لكونها الأدنى في السلم الحضاري لجميع ممالك المنطقة آنذاك، فحسب، بل لكونها جعلت رسالة التوحيد مختصة فقط بها، ولم تعرض على شعوب العالم القديم سوى التسخير أو الإبادة.

ولو اتخذت هذه القبائل، من تجربة موسى مع فرعون، نموذجا للمحاولة مع الشعوب والممالك، ربما تغير وجه المنطقة ومسارها التاريخي.

ولم تستفد القبائل العبرانية من الإرث التوحيدي للأنبياء إبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف، واكتفت باعتبارهم رأس الانتساب القبلي، مجردة إياهم من اصولهم الكلدانية في جنوب العراق. وتناست هذه القبائل أن الكنعانيين هم الذين أطلقوا على إبراهيم ورفاقه اسم العبرانيين أو العبريين، سواء في إعادتهم إلى جدهم الأول عابر، أو لعبورهم نهر الفرات باتجاه الغرب. وهم الذين أطلقوا لقب الخليل على إبراهيم، أي خل-ايل، خل الله أو خليل الرحمن، وعاملوه، بما يستحق من تبجيل واحترام، وكانوا هم، لا سواهم، وورثتهم، أتباع ديانته الحنيفة الموحدة. وتقديرا لقبوله اللقب الجديد، كبديل عن اسمه العائلي، سمي إبراهيم الخليل بكره بإسماعيل، أي سميع أيل، ورفع وإياه قواعد البيت في بريّة فاران (مكة). وواصل اسحق ويعقوب دعوة التوحيد هذه، ولم يسجل على أي منهما، اختصاص العبرانيين برسالة السماء. وحتى النبي يوسف ، العبراني الوحيد في

مكتبة المهتدين الإسلامية

مصر، واصل دعوته التوحيديـــة للمصرييـن، وأدى واجباتـه الوظيفية نحو فرعون بأمانة ونزاهة.

هكذا أرادت القبائل العبرانية أن تعيش خارج التاريخ ففقدت وظيفتها ودورها ورسالتها، ونظراً لإنكارها لأصولها، فقد ظلـت مثل الفطر البري، موجات طافية على سطح المنطقـــة، حـائرة وقلقة، حدث هذا الارتباك في وراثة مُلك سليمان الحكيـــم بيـن يربعام ورحبعام، مما ساعد شيشنق، فرعون مصـــر، أن ينظـم حملة عسكرية على فلسطين أخضعتها للجزية[١٤٥].

ورغم النجاح الجزئي الذي حققته مملكـــة إسـرائيل فـي الشمال، في تقليد مرحلة حكم الملك داود بالتعايش بين الســكان "حيث لقي الكنعانيون ترحيبا" وحيــث "اعـترف الفلسـطينيون والمؤابيون بسيادة الدولة" وحيث قدمت آرام دمشق الـهدايا [١٤٦]، فإنها كانت أضعف من أن تبسط هيمنتها السياسية على الجـوار. بل خضعت هي للحملات الآشورية ايام تغلات بيلاصر الثـالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) الـذي أعلن بعـض مقاطعاتها كمقاطعـات آشوريـــة . ووصلـت مملكـة إسرائيـل نهايتـها عندمـا

---

(١٤٥) د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٢١.

(١٤٦) رجا جارودي ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

رفض ملكها هوشع دفع الجزية إلى شلميناصر الخامس خليفة تغلات بيلاصر الثالث. فقاد حملة حاصرت السامرة "إلى أن استسلمت بعد ثلاث سنوات من الحصار ووقع ملكها هوشع أسيرا في قبضة الجيش الآشوري"[١٤٧]، ومن يومها تحول اسم الشمال الفلسطيني من مملكة إسرائيل إلى "سمارينا الآشورية"، وظل حكام هذه المنطقة "حتى القرن السابع قبل الميلاد من أصل آشوري"[١٤٨].

وعندما تمكنت بعض المدن على الساحل الفلسطيني (يافا، عسقلان، اسدود) من التمرد على الآشوريين، بتحريض ومؤازرة من مصر، في عهد سرجون الثاني، قاد الآشوريون حملة واسعة في عهد سنحاريب وأخضعوا "يافا وبيت داجن وابن براق وازور عام (٧٠١ ق.م)"[١٤٩]. وكان سرجون قبلها قد "نقل أصنام غزة ووطد سلطة الآشوريين فيها"[١٥٠].

---

[١٤٧] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص١٢٢.

[١٤٨] المصدر نفسه.

[١٤٩] عبد العزيز عثمان: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، ١٩٦٦، ص ٣٢٨.

[١٥٠] هارون هاشم رشيد: غزة، ص٢٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفي تلك الفترة ذاب الفلسطينيون تماما في الكنعانيين، اصلهم ومنبتهم، وفقدوا أي تمايز يخصهم. وفي حين حافظ المصريون، لفترات طويلة، على إقامة "مركز إداري رئيسي لهم في غزة، وبمركز آخر أقل أهمية في يافا"[١٥١]، إلا أنهم في ظل السيطرة الآشورية خسروا، مؤقتا، كل نفوذهم في فلسطين، الشمال والساحل والجنوب.

ولم يكن حظ مملكة يهوذا، بأحسن حالا من نظيرتها الشمالية، وبعد مد وجزر، حيث ظلت المدن الفلسطينية تدفع الجزية بانتظام إلى نينوى عاصمة الآشوريين، حتى سقوطها عام (٦١٢ ق.م) بيد الدولة الكلدانية أو البابلية الجديدة[١٥٢]، حتى نهض نبوخذ نصر، واحتل القدس، عام (٥٩٧ ق.م) وأنهى إلى الأبد مملكة يهوذا في الجنوب.

---

[١٥١] فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٥٨، ص١٤٦.

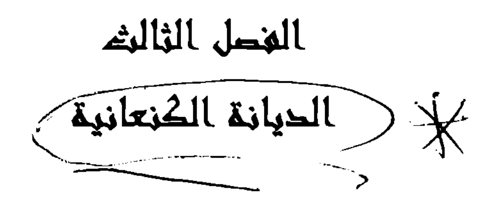
[١٥٢] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص١٢٣.

الفصل الثالث

الديـانة الكنعانية

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الثالث



اعتمد المؤرخون في دراسة ديانات العصور القديمة على ما قدمه علم الآثار، من اكتشافات في المدونات المكتوبة، والفن الهندسي في بناء المعابد والهياكل، وأساليب دفن الموتى. ذلك ان هذه المؤشرات، اعتبرت البذور الأولى للفكر والعقيدة.

ورغم التحفظ على بطء الأسلوب الأثري، وغموض ما نقص، وصعوبة تكوين آراء قاطعة، إلا انه الطريق الوحيد القادر على إغناء الوثيقة التاريخية ببراهين دامغة، شريطة التخلص من الافتراضات الوهمية المسبقة. كتلك التي تقوم على جغرافية وتاريخية التوراة مثلا.

ولارتباط الاستكشافات الأولى، بحركة الاستعمار الغربي من جهة، وبالصهيونية من جهة اخرى، لم تحظ الحضارة الكنعانية بالاهتمام الذي تستحقه، وأقحمت عليها القبائل المتهودة، وهي قبائل عديمة الموهبة والابتكار، بسبب تراثها العبودي والرعوي الطويل. وفي الإطار العام، فالديانة الكنعانية ديانة

مكتبة المهتدين الإسلامية

وثنية تجسيدية، حولت الآلهة إلى منحوتات ورســـوم مجســمة، باستثناء الإله "إيل" رب الأرباب، رب السموات السبع، وعرشــه في السماء العلى.

واعتمد الكنعانيون في إشادة هياكلــــهم المقدســة، ومعــابد التقدمات، على رؤوس الجبـــال والتـــلال، واعتـــبروا الغابـــات المحيطة بالمكان، غابات مقدسة تابعة للمعبد. وهذا ينسجم مـــع طبيعة البناء في العصور الحجرية، حيث اقيمت غالبيـــة المـــدن الفلسطينية فوق ربوات أو تلال، وكذلك اقيمت الهياكل الفينيقيـــة على المرتفعات الساحلية في أوغاريت وعمريت وجبيل وصيـــدا وصور.

ونقل الفينيقيون، طابعهم الكنعاني، إلى جزر البحر الأبيــض المتوسط، إلى قبرص وكريـــت وصقليـــة ومالطـــة وســـردينا، فجميعها كانت خاضعة للسيطرة الفينيقية المباشـــرة، أو مراكـــز لمستوطنات فينيقية ساحلية. وامتدوا بنفوذهم إلى سواحل تونـــس (قرطاج) والجزائر (عنابة) والمغرب (طنجة) واسبانيا (قـــادش)، وبذلك تحول الدين الكنعاني من دين محلي في فلسطين إلى ديـــن عالمي عربيا وعالميا.

فافروديت اليونانية وفينوس الرومانية "ليست فـــي الحقيقـــة سوى عشتار الكنعانية التي جاءت إلي قبرص مع الفينيقيين إبـــان ى البحر المتوسط"[١٥٣] "ومردوخ–بل سيد آلهة بـــابل، ليس إلا بعل الكنعاني، الإله القمري الأصل الذي أتت به ســـلالة حمورابي السورية"[١٥٤]. فيما اعتبر، يهوه، رب الجنـــود عنـــد العبرانيين، "في النصوص المقدسة للكنعانيين في رأس شمرا ابن إ يل"[١٥٥].

وفي قبرص ومالطة وصقلية، سمى السكان أماكن العبـــادة بالجيفانتيا أي بيت الجبابرة، حيث اشيدت معابد بعـــل (ســـادما–بعل) وعشتار (عشتروت)، وبمرور الزمـــن اندثـــرت الـــهياكل الفينيقية في صقلية وسردينيا وأسبانيا وقرطـــاج، حتـــى "معبـــد عشتروت الشهير الذي كان قائما على القمة الوعـــرة المنحـــدرة والمشرفة على اريكس في صقليـــة قد زال تمـــاما"[١٥٦]. أما

---

(١٥٣) فراس السواح: لغز عشتار، مرجع سابق، ص٩٨.

(١٥٤) فراس السواح، لغز عشتار، ص٨١.

(١٥٥) جارودي، مرجع سابق، ص ٨٦.

(١٥٦) ارنست بابلون: الآثار الشرقية، ص ١٩٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الميناتور الإغريقي في جزيرة كريت فهو "الإله بُعــل الكنعــاني يظهر في رسومه ومنحوتاته بقرون بارزة نحو الأمام"[157].

ونظراً للعادة العربية القديمة والحديثة في إضافـــة أســماء الأعلام إلى أحد أسماء الله الحسنى، فقد أضيف اسم إيل، بمعنــى الله، إلى أسماء الأعلام والقادة والملوك. ابتداء من لقب خليـــل (الخليل) الذي أضافه الكنعانيون إلى النبي إبراهيم، وهو بمعنــى خل-إيل، أي خل-الله (خليــل الرحمــن). واســتخدمه ملــوك الآراميين (متى-إيل)، وملوك الهكسوس في مصـــر "يعقــوب-إيل"، وملوك سبأ "يدع إيل ضريح"، وأضيف إلـــى اســم أحــد الشخصيات المحيطة بحمورابي" إيبال -بي-إيل"[158].

وفي المقابل، تأثرت الديانة الكنعانية وامتدادهـــا الفينيقـــي، بالأسلوب المصري في بناء المعابد. وظهر ذلك جليا في مـــدن الساحل السوري واللبناني، "فمعبد عمريــت ليــس سوى هيكل

---

[157] فراس السواح، مرجع سابق، ص ٧٤.

[158] د. أحمد سوسة، مرجع سابق، ١٣٧-١٣٩، وجارودي، مرجع سابق، ص٨٦.

مصغر، على غرار الهياكل المصرية، حيث وجد فيه مذبح مـــن الحجر احتوى تمثال الآلهة، وتألف من بلاطات قائمة على ثـلاث من جهاته وبقيت جهة واحدة مفتوحة"[١٥٩].

كما تأثرت الديانة الكنعانية، بعادة دفن الموتى في توابيـــت حجرية والمأخوذة من مصر "وهي عادة بعيدة عن عادات الدفـن التي كانت سائدة في فلسطين، في الألف الثاني قبل الميلاد ومـــا قبل ذلك"[١٦٠]. فقبل اكتشاف الفخار كانت المدافن عبارة عـــن كهوف ومصاطب البيوت، وحفر تشبه الآبار تتفرج عن غـــرف تحت الأرض إلى مدافن فردية وجماعية نحتت في الصخـــور. وبعد الفخار عثر في فلسطين "على جـــرار فخاريـــة اســـتعملت كتوابيت للموتى منذ الألف الخامس قبل الميلاد، وفيها تكـــورت الهياكل العظمية على نفسها متخذة وضعية الجنيـــن فـــي رحـــم أمه"[١٦١]. أما القبور الفينيقية، فأغلبـــها حفـــر فـــي الصخـــر، وخاصة الصخر الكلسي الطري المنتشر على سواحل البحر في

---

[١٥٩] ارنست بابلون، مرجع سابق، ص١٨٨.

[١٦٠] د. معاوية إبراهيم، مرجع سابق، ص ١١٣.

[١٦١] فراس السواح، مرجع سابق، ص ٤٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أوغاريت وعمريت وبانياس في سوريا، وفي جبيل وعدلون وصيدا وصور في لبنان، بالإضافة إلى مدافن الدياميس ذات الفتحة الشبيهة بالبئر.

وبالإضافة إلى التوابيت الحجرية، وجدت في مقابر فينيقية على الساحل السوري "توابيت من الرصاص أو الطين المشوي وخشب الأرز، وزخرفت بمواد معدنية، تمثّل على وجه العموم، خطم اسود من البرونز"[١٦٢]. كما اشتملت المقابر الفينيقية على أثاث لا يخلو من الأهمية مثل "آنية من الزجاج أو الطين النضج أو حجر الشطوط رفعت على الجدران، وتماثيل صغيرة من الطين النضج لبعل حمون جالسا بين كبشين والآلهة عشتروت جالسة أو واقفة تحمل بيدها حمامة"[١٦٣]. وتظهر القبور الفينيقية في قبرص وصقلية ومالطة وسردينيا و الساحل التونسي الترتيبات ذاتها في قبور الشواطىء السورية "إذ ينزل إلى الدياميس بواسطة بئر أو سلم"[١٦٤].

---

(١٦٢) ارنست بابلون، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(١٦٣) المصدر نفسه، ص٢٠٢.

(١٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

ليس معنى هذا كله، أن عمليات الدفن قرب سطح الأرض مـــع إشادة بناء صغير فوق الضريح كانت معدومة أو غائبة، ولكنـــها ظلت في الديانة الكنعانية، أقل أهمية وأدنى مرتبة مـــن المقـــابر المصرية فوق سطح الارض، التي شغلت أكثر من نصف جـــهد مبدعي الحضارة المصرية في فن البناء الهندســــي، والرســـوم والنحت والزخرفة والكتابة، وصناعة الأدوات التي كانوا يبقونـــها إلى جوار الميت.

وسنقرأ الآن الخارطة التي انتشرت فوقها رمـــوز الديانـــة الكنعانية، في ملمحها التوحيدي والوثني.

● إيـــــل:

عبد الكنعانيون الإله "إيل" بمعنـــــى الله، أو رب الأربـــاب، ورب السموات السبع، بدلالة توحيدية صريحة. ومزجوا بيـــن هذا التوحيد النقي وبين التعابير الوثنية، فأصبح كبـــير الآلهـــة، ورأس العائلات الإلهية المتصارعة. وظل وحده، من بين جميع الرموز الدينية، البعيد عن التجسيم نحتا أو رسما أو أيقونة.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولفرط توحيدهم، في المراحل المبكرة، اعتقدوا أن الله، رب السموات العلى، هبط من السماء السابعة إلى الأرض، وسكن في فلسطين، في بلدة بيت إيل "بيت الله" القريبة من رام إيل (رام الله)، لذلك فالأرض مقدسة لأنها مأوى قدس رب الأرباب.

وعند مقاربة الإله "إيل" بما يماثله تقريبا في الديانات الأخرى، نجده يتماثل مع "اهورامزدا" في الديانة الفارسية، و"آن" في الديانة السومرية، و"النرفانا" في العقيدة البوذية، و"آمون" في الديانة الكلدانية، و"براهما سباتي" في العقيدة الهندية، و"آتون" في الديانة المصرية. ومع ذلك تظل للإله إيل مسحة توحيدية أبرز.

فعند اصطدام العبرانيين بالكنعانيين على أرض فلسطين، بدا الصراع، وكأنه صراع بين أتباع يهوه، رب الجنود، وبين إيل رب الأرباب. ورغم اعتناق العبرانيين لديانة سماوية، إلا ان توطنهم في كنعان، أضعف اهتمامهم بتعبير يهوه، فالتحقوا بإله المواطنين الأصليين "إيل" وجمعوه على "إيلوهيم"[١٦٥]. كما

(١٦٥) جارودي، مرجع سابق، ص ٩٢.

ان يهوه في النصوص المقدسة للكنعانيين في رأس شمراهو "ابن ايل"[١٦٦].

ويبدو ان عبادة الإله "إيل" لم تقتصر على فلسطين وحدهـا، إذ امتدت إلى اوغاريت وفينيقيا، وإلى معين وسبأ، والآراميين، وظل يمجّد كإله للكون حتى العصور المتأخرة في تدمر، وللحنفاء في الجزيرة العربية حتى العصر الجاهلي. وبهذا المعنى اسم الإله إيل أول مؤشر توحيدي، سبق دعوة آخناتون واليهودية اللاحقة. مما يفسر حماس اللاهوتيين الكنعانيين "للإصلاح التوحيدي الذي أعلنه آخناتون، حين دعا إلى الإله "آتون"، الذي قابلوا بينه وبين "إيل" لا باعتباره إلها أسمى فحسب، بل باعتباره إلهاً واحداً للعالمين"[١٦٧].

وفي الديانة الإسلامية، آخر رسالات السماء، قال ابن عباس أن "جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم إيل فهو

---

[١٦٦] جارودي، مرجع سابق، ص٨٦.

[١٦٧] المصدر نفسه، ص٨٦-٨٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الله"[١٦٨]. وعندما سئل أبو بكر الصديق عن مسليمة لوفد بنـــي حنيفة قال: "ويحكم أين ذهب بكم؟ والله إن هذا الكلام ما خـــرج من إيل"[١٦٩]. وليس صدفة أن كبار الملائكة في الإسلام تنتسب أسماؤهم إلى إيل مثل عزرائيل، ميكائيل، جبريل، إسرافيل.

- **بـــعـــل:**

بعل، بمعنى السيد ورمزه الثور، هو إله المطـــــر والـــبرق والرعد والرياح، وأساسا إلـــه الخصـــب، المســؤول عـــن ري الأرض وإخصابها. وهو ابن "إيل"، ومـــــواز لـــه فـــي القـــوة والمقدرة. "وهو ليس اسم علم إطلاقا، بل كنية تخفي تحتها اســـم الإله الحقيقي الذي لا يعرفه إلا الراسخون في الدين"[١٧٠]. ولـــم يظهر في الأساطير الفينيقية" إلا بعد وصـــــول الفينيقييـــن إلـــى شواطئ البحر المتوسط مهاجرين إليها من منطقة النقب جنوبـــي فلسطين"[١٧١].

---

[١٦٨] الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد ١، ط٤، دار المونـــة، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٤٧.

[١٦٩] المصدر نفسه، ص ٣٤٧ .

[١٧٠] لطفي الخوري: معجم الأساطير، ج١، ص ١٣٦-١٣٧.

[١٧١] المصدر نفسه، ج١، ص١٣٦.

امتدت عبادة بعل من فلسطين إلى العراق (مردوخ-بعـــل) وقبرص (سادما-بعل) ومالطة وسردينيا (بعل ساميين) وصقليـــة (بعل حمون) وأسبانيا (بعل ساميين) وفي سوريا ولبنان (عليـــان بعل-بعل حمون) وفي كريت (الميناتور) وفــــي اليمـــن (بعـــل وقريش (هبل) وساحل تونس (بعـــل). ونظـــرا لعمـــق التـــأثر الشعبي في الإله بعل. تنسب التعابير الشعبية العربية، الأراضي غير المروية إلى الإله بعل، عندما تصفها بالأراضي البعلية، أي الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار، والتي يتكفل بـــها الإلـــه بعل. وعلى المستوى الميثولوجي في تقسيم الصراع بيـــن إيـــل وبعل كأسر إلاهية متصارعة، يبقى مستوى من التفســـير غـــير ظاهر وغامض، قد لا يجيب عليه المحتـــوى الظـــاهر لأســـماء الآلهة ووظائفهم. تبدأ أسرة الإله إيل، به، كرب الأرباب.

وتضاف له زوجة باسم عشيرة (عشتار) وهي الأم الكـــبرى في الديانات القديمة. سميت إلهة البحر، وهي في حقيقة الأمـــر، تكتسب دلالتها العظمى في أنها أم الإله بعل تارة، وزوجته تـــارة أخرى.ولهما ابنة واحدة هي عنات آلهة الخصب والحرب.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولهما ثلاثة أبناء:

موت: اله الموت.

يهوه: اله الحرب.

يم: اله البحر.

هالة القداسة التي أحيط بها بعل، تمثلت أولا في تحريره من "إيل" كأب، فتصبح أمه، عشتار، العذراء التي أنجبته بدون مضاجعة رجل، ونسبته، على المستوى الرمزي، إلى داجون، إله الغلة والحصاد، كأب رمزي تتوافق وظيفته وتنسجم مع وظيفة بعل. وعندما اختار عنات (عناة) كزوجة وكالهة للخصب والحرب، اكتمل ثالوث الخير: المطر-الغلة-الخصب. وهكذا في انتصار بعل على الإله يم، إله البحر، ينتصر المطر على الجانب المظلم والمخيف في المياه، اصل الحياة. ولذلك تكونت قصة اسطورية أخرى، جعلت بعل في موقع المهزوم غدرا، وأنه حوكم وأعدم ظلما، لكنه قام من الموت وعاد إلى الحياة في الربيع، ثم صعد إلى السماء. وهكذا يصبح موعد تفتح الأرض هو موعد قيامة بعل من الموت وانتصاره على حراس قبره.

وربما يشكل هذا التكوين الأسطوري خلفية ما نسب إلى كرشنا وبوذا وميترا. فكرشنا في ديانة الهند، ولد من أم عذراء اختارها الله لتكون أما لابنه الوحيد، المولود في كهف، والذي صلب. وميترا، في الديانة الفارسية قبل المسيح بستة قرون، ولد في كهف، في ٢٥ كانون اول (ديسمبر) وله ١٢ حواريا، عندما دفن عاد إلى الحياة وصعد إلى السماء. وبوذا، قبل المسيح بخمسة قرون، ولد من أم عذراء (مايا) بغير مضاجعة رجل في يوم ٢٥ كانون الأول (ديسمبر)، وعندما مات ودفن، شق قبره وعاد إلى الحياة وصعد إلى السماء وسيعود مرة اخرى. وفي دراسة تأثير الإله بعل على العبرانيين، نجد انهم عبدوه وهم في تيه الصحراء، وكرروا عبادته في مراحل يوشع والقضاة والملوك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، بنى أخاب ملك إسرائيل (٨٧٥-٨٥٣ق.م) معبدا للإله بعل، وكذلك فعل منسي ملك يهوذا (٦٤٢-٦٠٨ق.م)(١٧٢)، وبينهما عشرات الأمثلة الأخرى.

---

(١٧٢) جارودي، مرجع سابق، ص١٠٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- **عشتار:**

هي كوكب الزهرة ، المعروفة باسم نجمة الصباح، وعرفت في فلسطين باسم عستار أو عستارت (عستر-عسترت)، وفي العراق عشتار، وفي اليمن عثتر، وفي صقلية عشتروت، وفي اليونان أفروديت وفي الرومان فينوس وفي الجزيرة العربية العزى.

وقدمت صورة عشتار في الديانة الكنعانية بثلاثة أوجه. فهي الأم الكبرى، وربة الحب والجمال والخصب، وهي آلهة الانتقام والحرب. إذ لفت "نظر الكنعانيين تحول عشتار من نجمة للمساء، تظهر عند مغيب الشمس، إلى نجمة للصبح تسطع بنورها الأحمر قبل طلوع الشمس"[١٧٣]. وهذه الوظيفة المزدوجة، ظهرت بوقت متأخر في حضارات اليمن (معين سبأ، حضرموت، قتبان) حيث أشير إلى عثتر شرقن كإله ذكري واجبه حراسة المعابد والمقابر "وإليه توسل المتوسلون لحفظ

---

[١٧٣] فراس السواح، مرجع سابق، ص ١٠٠.

قبورهم من عبث العابثين بها المبعثرين لأحجارها الطامعين فـي كنوزها"[١٧٤]. ولذلك لقب "بعثتر يفل" أي "عثتر المنتــقم".

وعشتار في الأسطورة هي بالواقع، لا بالرمز، زوجة الإلــه بعل (تموز في الأسطورة العراقية)، الــذي امتلــك مواصفــات مساوية للإله إيل، ولأنها اصل الخصب اعتبرت الأم الكبرى في كل الديانات الشرقية القديمــة. وظــهرت فــي تمــاثيل حثيــة (عشتروت) وبابليه (عشترت) بامرأة عارية تماما، تحمل ثدييــها في وضع غير محتشم. وبرزت في رسم حثي "مجنحة وتعتمــر تاجا مخروطي الشكل، والكاهنة التي تقدم لها الخضوع مبرقعــة الوجه مثل النساء الآشوريات"[١٧٥].

ونظرا لدورها المغامر في إنقاذ بعل من حربه مع مـــوت، إله الموت والعــالم السفلي، ويم إله البحار الغاضبة، أصبحــت شريكة في الحرب والانتقام. ففــي أشور ذهبــت مع الحملات

---

(١٧٤) لطفي الخوري، مرجع سابق، ج٢، ص ١٢٤.

(١٧٥) ارنست بابلون، مرجع سابق، ص ١٤٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

العسكرية وساهمت في القتال وتمثلت وهي "واقفة في عربة تجرها سبعة أسود، والقوس بيديها"[١٧٦].

وهكذا مزجت عشتار بين وجهها الحربي والمنتقم، وبين الحب والشهوة والجمال، واعتماد البغاء المقدس، كوسيلة من وسائل عبادتها، وبين كونها جالبة للمنفعة والانتصار، حيث عزا أكثر من ملك ارتقاءه للعرش إلى حب ومؤازرة عشتار، كما في حالة سرجون وآشور بانيبال!

● عنات (عناة):

هي أخت الإله بعل "وتمتاح ماء السماء وتنشره ليحي الأرض"[١٧٧]، فتشكل ما يشبه إله الغيوم، فتستقطع واحدة من الوظائف المنسوبة للإله بعل. ويقابلها بعض الباحثين بايزيس المصرية. وتسمى أحد ملوك الهكسوس بالانتساب لها "عناة هار" أي عبد عناة.

---

(١٧٦) لطفي الخوري، مرجع سابق،ج٢، ص١٢٧.

(١٧٧) جارودي، مرجع سابق، ص ٨٥.

شيمون:

هو قدس الأقداس، وتمركزت عبادته في مدينة صيدا، و"كان يقابل أوزوريس المصري وادونيس السوري وبعل جاد في المرتبة"[١٧٨]، وانتقلت عبادته من صيدا إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وسواحل المغرب العربي واسبانيا، ووجد له صدى دينيا في مدينة يافا.

ملقارت:

هو إله الأرجوان، حيث عرف الكنعانيون (كنخي) بتجار الأرجوان "وقد عرفهم اليونان على ساحل بلاد الشام باسم الفينيقيين وله المعنى نفسه أيضاً"[١٧٩] إذ كان الكنعانيون يصطادون "الموركس" بالشباك والسلال، ويستخرجون غدد الحيوان وهو حي، لأن اللون يفسد بعد موت الحيوان. "وكانت عملية استخراج بضع

[١٧٨] د. عز الدين غربية، يافا، ص٣٨.

[١٧٩] الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، ج٤، ص٤٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

نقاط من سائل الأرجوان من أصدافه وتنقيته وتقطيره عملية شاقة مرهقة، لذلك كانت أسعاره غالية جدا"[١٨٠] . وعزا بعض الباحثين الإله ملقارت إلى مدينة صور، كمخترع لصباغة الأرجوان الذي تنتجه صور وصيدا والذي "بدلا من أن يتلفه الضوء أو يمحوه، كان يزيده ثباتا ولمعانا"[١٨١]. واقيم له هيكل كبير في قادش (اسبانيا).

داجون:

هو إله الغلة والحصاد في الديانة الكنعانية، أقيمت له المعابد الكبيرة في اشدود وغزة، ونسبت إليه بيت دجن وبيت داجون. وانتقل مع المهاجرين الكنعانيين إلى سواحل البحر المتوسط السورية واللبنانية، ومنها إلى جزر البحر، وتونس. وفي معبد داجون بغزة، هدم شمشون المعبد على نفسه وعلى من فيه، وعندما أخذ الفلسطينيون تابوت العهد، وضعوه في معبد داجون باشدود.

---

[١٨٠] مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١، قسم ١، ص ٤٧٢.

[١٨١] ارنست بابلون، مرجع سابق، ص ٢٣١.

- **شالم:**

هو إله الشفاء والنور. وعرفت به مدينة القدس. "أورشالم" وقيل أن المدينة كانت تضاء بزيت الزيتون فتبدو ليلا وكأنها ضوء متكامل ومتناسق. وبالإضافة إلى هؤلاء وسواهم، عرفت فلسطين العديد العديد من الآلهة الفرعية، مثل الإله شان الذي نسبت إليه بيت شان (بيسان)، والإله رشف الذي نسبت إليه مدينة ارسوف، والإله لحاما الذي نسبت إليه مدينة بيت لحم، فهي بالأصل بيت لحاما.

مرتبة ملكي صادق

تعترف المصادر اليهودية والمسيحية بوجود نبي فلسطيني قبل واثناء هجرة إبراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين حوالي (١٨٥٠ ق.م) واسمه ملكي صادق، حيث ظلت أسرته الملكية تتوارث حكم مدينة القدس حتى ادوني صادق.

ففي سفر التكوين نجد وصفا مسهبا لمعركة نهب سدوم وعمورة، وسبي سكانهما ونبيهما النبي لوط، ونقل المنهوبات

مكتبة المهتدين الإسلامية

إلى لبنان. وكيف استطاع إبراهيم الخليل، بتكليف من ملك القدس، ملكي صادق، من استعادة الأسرى والمنهوبات "وأخرج ملكي صادق، ملك شليم، خبزاً وخمراً لأنه كان كاهنا لله العلي"[١٨٢].

"وباركه وقال مبارك إبراهيم من الله العلي مالك السموات والأرض"[١٨٣] "وتبارك الله العلي الذي دفع أعدائك إلى يديك. وأعطاه العشر من كل شيء"[١٨٤].

وفي المسيحية، وفي انجيل القديس بولس، وفي رسالته إلى العبرانيين، يستعيد بولس فقرات التوراة السابقة، ويضيف لها ما أدخله على المسيحية في مجمع نيقية سنة (٣٢٥م)، بمؤازرة الإمبراطور الروماني قسطنطين، فيقول:

يصف ملكي صادق بأنه: "ليس له أب ولا أم ولا نسب ولا بداءة أيام ولا نهاية حياة. وبذلك يشبّه بابن الله يدوم كاهنا إلى الأبد"[١٨٥].

---

[١٨٢] التوراة، سفر التكوين، الفصل ١٤، الفقرة ١٨.

[١٨٣] المصدر نفسه، الفقرة ١٩.

[١٨٤] المصدر نفسه، الفقرة، ٢٠.

[١٨٥] انجيل بولس، الفصل ٧، الفقرة ٣.

"وحين خرج ملكي صادق لملتقى إبراهيم كـــان هـــو فـــي صلبه. ولو كان بالكهنوت اللاوي كمـــال وقـــد أخـــذ الشـــعب الناموس تحته، إذن أية حاجة كانت بعد أن يقوم كاهن آخر علـــى رتبة ملكي صادق ولم يقل على رتبة هارون"[١٨٦].

يشير القديس بولس هنا إلى اقوال سابقة للسيد المسيح بأنـــه يتمنى أن يصل إلى رتبة ملكي صادق، فيما انحصر الكـــهنوت الديني اليهودي في اللاويـــين من نسل هارون. ويربط الإشـــارة هذه بحقيقة انتساب السيد المسيح، من حيـــث الأم، إلـــى نسـل يهوذا، نسل داود، فيكون الناموس قد خرج من اللاويـــين إلـــى يهوذا، وهو في الأصل خارج الإثنين معاً.

ويصف عباس محمود العقاد ملكي صـــادق بـــأحد أنبيـــاء العرب، إلى جانب الأنبياء أيوب وبلعام وشـــعيب[١٨٧]. ويقـــول بأن مكان تعبد ملكي صادق هو المكان الذي أشيد فوقه الحـــرم القدسي الشريف.

---

[١٨٦] إنجيل بولس، الفصل٧ ، الفقرتان ١٠، ١١.

[١٨٧] عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، مرجع ســابق، ص ١٥٩-١٦٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ورغم دعوة النص الديني الصريح فـــي التـــوراة، لليـــهود بالتوجه إلى جبل جرزيم في نابلس، فإنهم فـــي توجهـــهم إلـــى القدس، يواصلون العادة والعبـــادة الكنعانيـــة القديمـــة. وانفـــرد الحنبلي في كتابه "الأنس الجليل" بالقول بأن ملكي صـــادق هـــو نفسه سام بن نوح، وهو أول من بنى مدينة القدس وكـــان ملكـــا عليها[١٨٨].

---

[١٨٨] الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٧-٨.

الفصل الرابع

اللـغـة الكنعانية

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الرابع

اللغـــــــــة الكنعانية

عندما يستكمل العالم مسوحه الأثرية، بإمكاننـــا الوصـــول، وبصورة قاطعة، إلى بدايات وتطور اللغة المكتوبة في الكوكـــب الأرضي، وفق المراكز الأولى لاستيطان الجنس البشري. ذلـــك أن العالم الإنساني الأول (نسل آدم) والثاني (نسل نوح)، انتشـــر وتوزع على البقاع اليابسة في الكرة الأرضية، ولم يـــترك لنـــا سجلا موثـــقا بهذه التجربة، ينقذنا من التـــأويل والافتراضـــات المتحيزة المسبقة. ولا تشكل الإشارات الدينية المحـــدودة، فـــي كتب الديانات التوحيدية، مخرجا من هذا المأزق. فالنص الديني ليس سجلا أثريا وتاريخيا لمراحل تطور البشرية، إلا إذا أريـــد إخراجه من جوهر رسالته، وتحويله إلى مرجع متواضـــع فـــي دائرة الآثار.

وبالانتقال إلى اللغة، لا يسعفنا أي مرجع عن اللغـــة التـــي تحدث بها آدم، أبو البشرية، مع زوجه حواء ونسلهما الغزيـــر. وإذا وجدت، فبأي مسار تطورت. وهل نستطيع أن ننسب لـــها أية مفاهيم معاصرة؟! وإذا كان التقدير الظني لسكان العالم قبـــل الطوفان، يتجاوز المائتين وخمسين مليونا، فهل عاش هذا العدد

مكتبة المهتدين الإسلامية

الهائل، معتمدا على اصوات الإشارة، كالحيوانات؟! وهل اقتصرت رسالات السماء، آنذاك، على النص الشفوي؟!

وعندما تجددت الحياة البشرية على الكوكب الأرضي بعد الطوفان، محتفظة بعينة بشرية محدودة من سكان جنوب العراق، وعلى رأسهم النبي نوح ونسله وأتباعه، فبأي لغة كان يتفاهم هؤلاء، وكيف يبلغون رسالات السماء، بدون وسيلة لغوية منطوقة، على الأقل؟! وهل يعقل أن تكون لغة الإشارة هي وسيلة التفاهم بين طلائع، اسندت إليها، مهمة إعادة إحياء البشرية؟!

وحتى لو افترضنا أن سكان سفينة نوح، أثروا البقاء لفترة ما، في نقطة وقوف السفينة في جبال آرارات وما حولها، فيما يعرف اليوم باسم تركيا وأرمينيا، فما هي اللغة، أو البذور اللغوية، التي كانوا يحملونها معهم من جنوب العراق؟! وعندما عادوا إلى نقطة استقرارهم (جنوب العراق) وانتشروا منها إلى فلسطين وسوريا ومصر، وشكلوا أولى التجمعات الاستيطانية السكانية، وتوجهوا جنوبا إلى اليمن، لم يتركوا لنا لغة نسميها

اللغة الكنعانية

بلعة نوح أو لغة سام وحام ويافث، وإن نسبت السامية الأولى، افتراضيا، إلى هذه المرحلة، مرحلة المفردات الرعوية والزراعية البدائية. ونظرا لعدم وجود أدلة أثرية دامغة، عن هذه المرحلة، فإن افتراض سماتها مما هو مشترك في اللغات السامية المعروفة، لا يكفي لأن يقدم لنا صورة لغوية ناضجة.

وردا على سؤال فيما إذا كانت السومرية بداية دورة جديدة من أكتشاف الإنسان لذاته كتابيا، أم أنها نتاج غير مسبوق يشكل فاتحة في التاريخ البشري الكتابي؟! اعتمد المؤرخون اللغويون على ما هو معروف حتى الآن، اللغة السومرية، كأول لغة مدونة في العالم. وهي لغة كتابية صوتية، تقسم الكلمة إلى مقاطع، ولكل مقطع رمزه المكتوب، وعرف خطها بالخط المسماري، المرقوم على ألواح الطين. وخلافا لما اكتشف من لغات مترافقة مع السومرية أو متأخرة عنها،فقد كتبت السومرية من اليسار إلى اليمين، وحققت انتشارا واسعا، في العالم القديم، حتى غدت لغة عالمية.

في الألف الخامس قبل الميلاد، شهد جنوب العراق، موجة عارمة من الهجرة الأكادية، جاورت السومريين وأقامت

مكتبة المهتدين الإسلامية

عاصمتها في أكد، شمالي بابل، وتفاعلت مع الحضارة السومرية تفاعلا إيجابيا. وحافظ الأكاديون على لغتهم المنطوقة، غير المكتوبة، وتأثروا باللغة السومرية، فساد ما سمي بالازدواج اللغوي لمدة ستة قرون من (٢٥٠٠ ق.م–١٩٠٠ ق.م)، وأدى في النهاية "إلى سيادة اللغة الأكادية في كل مناطق العراق وانتهاء استخدام اللغة السومرية"(١٨٩). ولكن الأكادية، وما تفرع عنها من أشورية وبابلية، ظلت تكتب بالخط المسماري، حيث اعتمد التدوين على الصوت المنطوق، واشتمل على حالات إعرابية كالرفع والنصب والجر. وهكذا ظل الخط المسماري لأكثر من ثلاثة آلاف سنة، حتى قام سلوقس (٣٠٥-٢٨١ ق.م)، أحد قواد الاسكندر المقدوني، بتغيره "وأحل محله الخط الآرامي"(١٩٠).

اختلف الباحثون، لأسباب غير وجيهة، في تحديد أصول السومريين. فمن استند إلى وجود الفخار الأحمر والرمادي، ليقول بأن السومريين "جاءوا من جهة الغرب أو الشمال

---

(١٨٩) د. محمود حجازي: علم اللغة العربية، الكويت، ١٩٧٣، ص ١٥٢.

(١٩٠) د. فوزي رشيد، طه باقر، حياته وآثاره، وزارة الثقافة، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص٥٣.

الغربي"[١٩١]. لوجود ما يماثل هذا الفخار في سوريا وفلسطين. ومن قائل أنهم جاءوا من حوض نهر السند، ويردهم البعض إلى هنغاريا "نظرا للتشابه اللفظي بين المفردات في المبنى والمعنى"[١٩٢]. وهذه الافتراضات غير الثابتة لا تضعف الدور السومري العظيم، في امتداد لغته من النقاوة الخاصة إلى الأكادية فالأشورية والبابلية. وهو ما دفع عالم لغوي أوروبي من تشيكوسلوفاكيا إلى الإقرار بأن اللغة في آسيا العربية الشمالية حتى أطراف شبه الجزيرة العربية انحصرت في "لغة الكنعانيين ولغة أوغاريت ولغة سكان إيلبه بالإضافة إلى الآشورية والبابلية"[١٩٣].

وفي البحث عن العلاقة بين السومريين والعبرانيين، هناك إقرار متسرع وقاطع ، بأن "تراث العبريين هو على وجه

---

[١٩١] د. فاضل عبد الواحد علي: المستشرقون والمشكلة السومرية، مجلة الاستشراق، العدد الأول، ١٩٨٧، بغداد، ص٦٧.

[١٩٢] المصدر نفسه.

[١٩٣] البروفسور كارل بنراتشيك : لغات شبه جزيرة العرب قبل التاريخ، مجلة الاستشراق، العدد الأول، ١٩٨٧، بغداد، ص ٧٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

التقريب تراث وحضارة أولئك السومريين اللاساميين وصل اليهود عن طريق الوساطة الكنعانية"[١٩٤]. فاللغة الآكدية، في الألف الثاني قبل الميلاد، كانت لغة مشتركة في العالم الأدبي كله تقريبا، وسادت جميع أنحاء فلسطين[١٩٥]، ولذلك أصبحت الوساطة الكنعانية مزدوجة، كنعانية وآكدية في آن معا. وبرهنت رسائل تل العمارنة، أن رسائل بعض أمراء فلسطين مع حكام مصر، وخاصة مع امنحوتب الثالث (١٤١٣-١٣٧٧ ق.م) وامنحوتب الرابع (أخناتون) (١٣٧٧-١٣٥٨ ق.م) كتبت بالخط الأكادي (والذي هو سومري الأصل).

وإذا كانت اللغة السومرية ترتبط بنظرة خاصة نحو الذات، عندما يعتبر السومريون أنفسهم، شعبا مختارا أو "جماعة مخصوصة ومقدسة ذات صلة حميمة بالآلهة أكثر من سائر

---

(١٩٤) شوقي عبد الحكيم: الفولكلور والأساطير العربية، ابن خلدون، ط٢، ١٩٨٣، بيروت، ص٧١.

(١٩٥) د. محمد إبراهيم الفيومي: في الفكر الديني الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣١١.

البشر"[١٩٦]، ذلك أن قواعد اللغة ذاتها، "اعتبرت طبقة النبلاء مزيجا من البشر والآلهة معا"[١٩٧].

أما اللغة الثانية، التي تزامنت مع السومرية، واختلفت عنها جوهريا فهي اللغة المصرية القديمة، المسماة بالهيروغليفية. ولم يعتمد خط الهيروغليفية على تدوين الأصوات المنطوقة، كما هو الحال في المسمارية، بل اعتمد على الصور أساسا، والقليل من الرموز المساعدة. فهو كتابة بالصور، تمزج بين الخط والرسم، وتربط بين الكتابة وسادة القوم من البلاط الملكي وحاشيته إلى كهنة المعبد وكبار التجار.ورغم تفرد هذه اللغة عن المجموعة اللغوية السامية، فقد فسر أرمان أوجه الشبه بينهما، "بأن هذه اللغة قد انفصلت في وقت مبكر عن الأسرة السامية وشقت طريقها وحدها عدة آلاف من السنين"[١٩٨].

---

[١٩٦] س. كريمر: طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، دار سومر، قبرص، ١٩٨٦، ص٤٠.

[١٩٧] روز نكارتين: نظام القرابين في المجتمع السومري، ترجمة د. خليل سعيد عبد القادر، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩٠، ص٨٥.

[١٩٨] د. محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص ١٣٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الانتقال الثالث جاء على يد الكنعانيين، بالانتقال من المقاطع السومرية والأكادية والرسوم الهيروغليفية، إلى الأبجدية، حيث وجدت البدايات الأولى في تل بلاطة وتل أبو شوشة (نابلس) وتل العجول (غزة) للغة الكنعانية (لاشون كنعن).

ولذلك قال موسكاتي إن الأبجدية "ظهرت لأول مرة في المصادر الكنعانية"[١٩٩]، وأضاف دايرنجر أن "مصدر اختراع الأبجدية يرجع إلى منطقة فلسطين وسوريا"[٢٠٠]. والقولان معا يصدقان تماما، فإذا كانت فلسطين هي مركز اختراع الأبجدية فإن مركز شهرتها وتوزيعها تم أولا على يد لهجة "أوغاريت" على الساحل السوري، والتي عرفت باسم الأوغاريتية أو الأجريتية، وعلى يد مدينتي صور وصيدا على الساحل اللبناني، والتي عرفت باسم الفينيقية.

وأوغاريت (رأس شمرا) بمقدار ما كانت مستوطنة كنعانية فلسطينية، فهي مدينة سورية أصيلة، رتبت الأبجدية وفق

---

[١٩٩] سبتين موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكاتب، لندن، ١٩٥٧، ص ١٢٠.

[٢٠٠] د. أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ١٣١.

تسلسل: أبجد-هوز-حطي-كلمن-سعفص-قرشت، ولغتها هذه هي "لغة كنعانية"[٢٠١] ووفقا للمكتشفات المعروفة حتى الآن، تحتل أوغاريت مكان الصدارة في النموذج اللغوي الكنعاني. وعنها أخذ سكان جنوب لبنان (صيدا-صور) الأبجدية بلهجة خاصة (اللهجة الفينيقية)، ومن هذه المناطق انتقلت إلى أوروبا (اليونان) وسواحل المغرب العربي (تونس-الجزائر-المغرب) وأسبانيا.

وينسب اللغويون إلى اللغة العبرية تأثرها وانتسابها إلى مصدرين: فهي عبرية كنعانية، حين تقتبس لغة كنعان "بدلا من اللهجة الآرامية"[٢٠٢]، وهي عبرية آشورية، حين تقتبس من الآشورية والبابلية وجذرهما الأكادية بعض مقوماتها اللغوية. وعندما تعلم هؤلاء البدو من الكنعانيين الكتابة الأبجدية، تمكنوا في القرن العاشر قبل الميلاد الانتقال من الرواية الشفوية إلى الكتاب[٢٠٣]. كما تعلموا من الكنعانيين الزراعة "حتى كانت

---

[٢٠١] جارودي، مرجع سابق، ص ٨٤، عن هاريس: تطور اللهجات الكنعانية، ص١٠-١١.

[٢٠٢] المصدر نفسه، ص ٩٣.

[٢٠٣] المصدر نفسه.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أساليبهم في الحياة تتشابه بقدر ما كانت تتضاعف زيجاتهم المختلطة"[٢٠٤].

وعلى العموم، تشترك جميع اللهجات الكنعانية، المتفرعة عن اللغة الأم (الكنعانية القديمة)، من الأوغاريتية والفينيقية والبونية والعبرية والمؤابية، أنها جميعا اعتمدت الترتيب الأبجدي للحروف، وكتبت من اليمين إلى اليسار. وافترقت عن بعضها في خصائص لهجتها المحلية.

وعلى عكس الفينيقية والعبرية التي حولت الحاء والخاء إلى صوت واحد هو الحاء، ودمجت العين والغين في حرف واحد هو العين[٢٠٥]، فقد مايزت الأوغاريتية بين العين والغين وبين الحاء والخاء، مما يجعلها أقرب صلة إلى العربية الحديثة، وعنها أخذ النبط خطهم، فكانوا جسر الاتصال بين العربية القديمة وبين "الخط العربي الذي أشاعه الإسلام"[٢٠٦].

---

[٢٠٤] جارودي، مرجع سابق، ص ٩٣.

[٢٠٥] د. محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص ١٦٠.

[٢٠٦] د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المراجع

١- الموسوعة الفلسطينية:

القسم الأول في اربعة مجلدات، دمشق، ١٩٨٤.

القسم الثاني في ستة مجلدات، بيروت، ١٩٩٠.

٢- لطفي الخوري: معجم الأساطير

الجزء الأول، بغداد، ط١، ١٩٩٠.

الجزء الثاني، بغداد، ط١، ١٩٩٠.

٣- سلسلة المدن الفلسطينية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ومنها الكتب التالية: د. عز الدين غربية (يافا)، د. وليد مصطفى (بيت لحم)، مروان الماضي (عكا)، هارون هاشم رشيد (غزه).

٤- الكتب المقدسة:

أ- القرآن الكريم.

ب- الكتاب المقدس - العهد العتيق - (التوراة).

المطبعة الكاثوليكية -بيروت-لبنان.

٣٠ تشرين الثاني، ١٩٧٩.

جـ- الكتاب المقدس - العهد الجديد - (الأناجيل).

المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان.

٣٠ تشرين الثاني، ١٩٧٩.

د- إنجيل يوحنا.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المراجع

الأبنا إثنا سيوس - مطرانية بني سويف والبهنسا.

(ط٢)، ١٩٨٤ - القاهرة - مصر.

هـ-الإنجيل المقدس.

اتحاد جمعيات الكتاب المقدس، (ط٤)، ١٩٩٢ - بيروت - لبنان.

٥- جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث، بيروت.

٦- ارنست بابلون: الآثار الشرقية، ترجمة مارون عيسى الخوري، طرابلس، لبنان، ط١، شباط (فبراير) ١٩٨٧.

٧- د. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣.

٨- د. معاوية إبراهيم: فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ط١، بيروت، ١٩٩٠.

٩- فراس السواح: لغز عشتار، دار سومر، قبرص، ١٩٨٦.

١٠-الأب انطوان نمنم: المواقع الأثرية بفلسطين في فترة ما قبل التاريخ، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، المجلد الثاني، تونس، ١٩٨٤.

المراجع

١١-د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦.

١٢-عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت-صيدا، ١٩٨١.

١٣-كارل بتراتشيك: لغات شبه جزيرة العرب ما قبل التاريخ، الاستشراق، العدد الأول، كانون ثاني (يناير) ١٩٨٧، بغداد.

١٤-د. محمد إبراهيم الفيومي: في الفكر الديني الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

١٥-محمد عزت إسماعيل: النصرانية والإسلام، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧.

١٦-د. أحمد حجازي السقا: نبوءة محمد في الكتاب المقدس، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٧٨.

١٧-واليس بدج: الديانة الفرعونية، ترجمة نهاد خياطة، دار سومر، قبرص، ط١، ١٩٨٦.

١٨-س. كريمر: طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، دار سومر، قبرص، ١٩٨٦.

١٩-روز نكارتين: نظام القرابين في المجتمع السومري، ترجمة، د. خليل سعيد، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المراجع

٢٠-الأب جرجس داود: أديان العرب قبل الإسلام، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٨١.

٢١-شوقي عبد الحكيم: الفولكلور والأساطير العربية، ابن خلدون، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

٢٢-فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٥٨.

٢٣-عبد العزيز عثمان: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، ١٩٦٦.

٢٤-د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، وزارة الإعلام، بغداد، ط٥، ١٩٨١.

٢٥-سبتين موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكاتب، لندنن ١٩٥٧.

٢٦-د. فوزي رشيد: طه باقر حياته وآثاره، وزارة الثقافة، بغداد، ط١، ١٩٨٧.

٢٧-د. نجيب ميخائيل إبراهيم: محيط الفنون، دار المعارف، القاهرة.

٢٨-سيتن لويد: فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٨.

المراجع

٢٩-مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٨٢.

٣٠-د. عز الدين غربية: العلاقات الحضارية بين فلسطين ومصر في عصر البرونز، المجلة العربية للثقافة، السنة الثانية، العدد الأول، آذار (مارس) ١٩٨٢.

٣١-محمد حسين: من فلسطين وأرض كنعان إلى قرطاج، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، المجلد الثاني، تونس، ١٩٨٤.

٣٢-د. فاضل عبد الواحد علي: المستشرقون والمشكلة السومرية، مجلة الاستشراق، العدد الأول، ١٩٨٧، بغداد.

٣٣-محمد عزة دروزة: اليهود في القرآن الكريم، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٠.

٣٤-د. محمد إرشيد العقيلي: اليهود في شبه الجزيرة العربية، عمان، ١٩٨٠.

٣٥-سامي حاوي: جذور وبراعم، الكويت.

٣٦-د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١، ١٩٨٦.

٣٧-طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط١٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فهـرس الكتـاب

مكتبة المهتدين الإسلامية

مؤلفات

علي حسين خلف

١- **خذوني إلى بيسان** (مجموعة قصصية) .

(ط١)، بيروت، ١٩٧٧، دار ابن خلدون.

٢- **الصهيل** (مجموعة قصصية).

(ط١)، بيروت، ١٩٨١، اتحاد الكتاب و الصحفيين الفلسطينيين.

(ط٢)، عكا، ١٩٨١، دار الأسوار.

(ط٣)، عمان، ١٩٨٣، رابطة الكتاب الأردنيين.

٣- **الغربال** (مجموعة قصصية).

(ط١)، عمان، ١٩٨٤، دار ابن رشد.

٤- **مدن وغريب واحد** (مجموعة قصصية).

(ط١)، عمان، ١٩٨٥، دار ابن رشد.

(ط٢)، اللاذقية، ١٩٨٦، دار حوار.

٥- **طيور الجنة** (مجموعة قصصية).

(ط١)، بيروت، ١٩٩٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٦- **عصافير الشمال** (رواية).

(ط١)، بيروت، ١٩٨٠، دار ابن خلدون.

٧- **حافة النهر** (رواية).

(ط١)، عمان ١٩٨٩، دار ابن رشد.

٨- **نجم المتوسط** (رواية).

(ط١)، عمـان، ١٩٩٧، دار الكرمـل - رابطـة الكتـاب الأردنيين.

٩- **عز الدين القسام** (دراسة تاريخية سياسية).

(ط١)، عمان، ١٩٨٥، دار ابن رشد.

(ط٢)، اللاذقية، ١٩٨٦، دار حوار.

١٠-**النهوض مرة أخرى -حصار تل الزعتر**

(شهادات وتحليل).

(ط١)، بيروت، ١٩٧٧.

(ط٢)، عمان، ١٩٨٦، دار ابن رشد،(طبعة مختصرة).

١١-**الحصار** (يوميات بيروت ١٩٨٢).

(ط١)، عمان ١٩٨٣، دار ابن رشد.

١٢-**الفنان توفيق عبد العال**، الخط -اللون- التصميم.

(سيرة ونقد).

(ط١)، بيروت، ١٩٨٠، باللغتين العربية والإنجليزية بالألوان.

(ط٢)، عمان ١٩٨٥، دار ابن رشد (طبعة مختصرة).

١٣-**الحضارة الكنعانية والتوراة** (دراسة دينية تاريخية).

(ط١)،بيروت، ١٩٩٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٤-**أبو سلمى زيتونة فلسطين** (توثيق أدبي).

مكتبة المهتدين الإسلامية

(ط١)، بيروت، ١٩٨٠، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

(ط٢)، عكا، ١٩٨٠، دار الأسوار.

١٥-**فلسطيني في برلين** (انطباعات).

(ط١)، بيروت، ١٩٨١، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين / دار العودة.

١٦-**الأطماع الإسرائيلية في مياه الضفة الغربية.**

(ط١)، ١٩٨٧، عمان، دار ابن رشد للنشر والتوزيع.

١٧-**الأوقاف الإسلامية تحت الاحتلال.**

(ط١)، ١٩٨٧، عمان، دار ابن رشد للنشر والتوزيع.

١٨-**الحسون يكتشف السر** (قصة للأطفال).

(ط١)، عمان ١٩٨٤، دار ابن رشد.

١٩-**الحجر السابع** (قصة للأطفال). (تحت الطبع).

٢٠-**سامر والخواجا** (قصة للأطفال). (تحت الطبع).

٢١-**ملحمة الحب والحجارة** / فلم تلفزيوني، عام ١٩٨٨.

أول فلم عن الانتفاضة الفلسطينية. إخراج : فايز حجاب.

تمثيل: عبد الله غيث / فردوس عبد الحميد / سعيد عبد الغني / علي عزب / داود جلاجل / محمود سعيد / عزة لبيب / دينار / حسن الشاعر/ حسن أبو حسنة / ألفت سكر / وآخرون.

٢٢-**أحلام عزيزة** / سهرة تلفزيونية، قصة وسيناريو وحوار / مخطوطة.

٣١٠٥١٧

٢٣-**الأرض... بلدي** / سهرة تلفزيونية، قصة وسيناريو وحوار / مخطوطة.

٢٤-**القرنفلة السوداء** / سهرة تلفزيونية، قصة وسيناريو وحوار / مخطوطة.

٢٥-**سنوات النار**/ فلم تلفزيوني ،قصة وسيناريو وحوار/ مخطوطة.

٢٦-**مسرحية صراع على مأرب**، عرضت في عدن.

٢٧-**مسرحية الجبل**، إخراج فيصل عبد الله.

تمثيل: أعضاء فرقة المسرح اليمني، عزف: الفرقة الموسيقية الحديثة،

غناء: محمد عبده زيدي. عرضت على مسرح كريتر / عدن، عام ١٩٧٢

٢٨- **مسرحية الأم**، إخراج فيصل عبد الله.

تمثيل: علي هادي، عبد الله هادي، حنان صعيدي، نجلاء شمسان، محمد عبد الرحيم، أنيس عبد القادر وآخرون.

عرضت على مسرح عدن في إحدى المناسبات الوطنية عام (١٩٧٥).

٢٩- **مسرحية العاشرة ليلا في سمحان.**

عرضت على مسرح عدن وشاركت في مهرجان دمشق المسرحي.

- **كما له العديد من التمثيليات الإذاعية والبرامج.**

مكتبة المهتدين الإسلامية